رجسٹرڈ نمبر - اے - ۷۵۱

محتويات العدد

نياحة أبي جهل — للأستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى ، ١

الوضع الداخلى فى إيران — للأستاذ مصطفى رهنما ، ٦

التصوف كما قررهُ الاسلام — للأستاذ عبدالبارى الندوى ، ١٢

الشيخ عبدالقادر الجيلانى — للأستاذ أبى الحسن على الندوى ، ٢٣

البحث عن الحق ، ١، — للأستاذ وحيد الدين ، ٣٣

إلى المرأة المسلمة — للآنسة أمينة قطب ، ٤١

أول من عرف الاسلام — للدكتور محمد أحمد الصديقى ، ٤٩

إلى أهل الهند

اللغة العربية فى خطر — للأستاذ الأديب أحمد عبدالغفور عطار ، ٦١

إقتراح خطير — للأستاذ صالح مهدى السامرائى ، ٦٨

كيف تحقق السعادة — محمد الحسنى ، ٧٤

سيد محمد حسنى نے ندوہ پريس مين چھپواكر گوئن روڈ لكھنؤ سے شائع كيا

البعث الإسلامى

مجلة شهرية إسلامية أدبية

العدد الرابع — المجلد الرابع

شوال ١٣٧٨ هـ

صاحب الامتياز
الاستاذ أبو الحسن
على الحسنى الندوى
رئيس التحرير
محمد الحسنى
نائب رئيس التحرير
سعيد الأعظمى

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية أدبية
المجلد الرابع

الاشتراكات
(فى الهند و باكستان)
٦ روبيات للسنة الواحدة
٥٠ بيسة جديدة لعدد واحد
(فى البلاد العربية والخارج)
٧٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها
لسنة واحدة

شوال و ذوالقعدة ١٣٧٨ هـ العدد الرابع ابريل و مايو ١٩٥٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد إقبال فى غزنين

للاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

سافر محمد إقبال — على دعوة من ملك الأفغان الشهيد نادر شاه — عام ١٩٣٣ م إلى أفغانستان و مر فى طريقه على غزنين — عاصمة اسكندر الإسلام السلطان محمود الغزنوى و زار قبر الشاعر الحكيم السنائى الغزنوى الذى يعتبره محمد إقبال أستاذاً له فى الشعر والحكمة و سلفاً بعد مولانا جلال الدين الرومى ، و طاب له الوقت و فاضت قريحته بشعر إسلامى حكيم بث فيه أشواقه و آماله و آلامه و نظر فيه إلى العالم المعاصر بعين حكيم

شاعر و مؤمن ثائر ، و سجله تذكاراً لهذه الزيارة الممتعة التاريخية

يشكو الشاعر العظيم فى مستهل هذه القصيدة ضيق هذا الكون ويذكر أنه مع سعته التى يوصف بها — لا يسع لوعته و طموحه و يلوم من يرى ان هذه الدنيا — برحابها الواسعة و صحاريها المترامية و متعتها الفائتة — لتسع فرداً واحداً رزقه الله علو الهمة و كبر النفس و حرارة الحب و يتهمه بسوء التقدير و ضيق التفكير و يقول : فى صراحة وثقة ان من عرف نفسه و قيمته تحرر من هذا العالم المادى و تمرد عليه ، و ذلك سر التوحيد الذى لا يزال الناس فى غفلة و إن من تفتحت بصيرته تجلى له الجمال الإلهى فرأه فى هذا الكون .

و يذكر هنا محمد إقبال أنه لا صراع بين العلم والمعرفة والحب و إنما هو من تصوير المنتسبين إلى العلم و من ضعف تفكيرهم فقد رأوا فى من ملكه الحب المنافس للعلم والدين ، و قسوا و أسرعوا فى الحكم عليه ، و يقول : إن الإستغناء عن المادة و أصحابها والحكومة و رجالها هو الحصن الحصين الذى يعتصم به أصحاب النفوس الكبيرة الزكية فلا سبيل إليهم و لا سلطان عليهم للملوك والأغنياء ثم يقول — فى دلال و إعتداد — لا تحاول أيها الملك الرفيع أن تقلدنى فى لوعتى و سكرى فتلك نعمة خص الله بها بنى آدم و حسبك الذكر والتسبيح والطواف الذى جبل الله عليه الملائكة الكرام .

و هنا يقبل الشاعر إلى العالم الذى يعيش فيه فينتقد الشرق

والغرب و يقول لقد عرفتها و عشت فيها زماناً و لا ينبئك مثل خبير ثم يخص ما يعانيان من الأزمة و ما يقاسيان من علة فيصورهما تصويراً صادقا دقيقاً لا يستطيعه إلا من اختبر الشرق والغرب و يقول : أما الشرق فقد توفر فيه الإستعداد و لكن يعوضه الموجه والقيادة الرشيدة و أما الغرب فقد اتخم بالقوة والوسائل و لكن حرم لذة الإيمان و برد اليقين ، و يتذكر العالم الاسلامى فيقول : لقد انقرض منه اولئك العماليق الذين كانوا يتحدون الملوك والأباطرة بأنفتهم — و كان فى قصرهم و زهادتهم حتف الأستبداد

و يتذكر العالم العربى فتحزنه الأوضاع الفاسدة هناك (١) يحزنه عبث الملوك العرب و أمراءهم و زعمائهم ببلادهم العزيزة والمقدسات الاسلامية و وقوعهم فى شباك الأجانب مرة بعد مرة و انهماكهم فى لذاتهم و شهواتهم فتصدر منه كلمة قاسية لاذعة لم يصدرها إلا الإيمان العميق والحمية الاسلامية فيقول : إن هؤلاء الشيوخ والأمراء لا يستغرب منهم أن يبيعوا جبة أبى ذر و كساء أويس القرنى و رداء فاطمة الزهراء (٢) و أعز المقدسات فى كأس يحتسونها و لذة ينتهبونها و يقول : إن نفوذ الأجانب فى جزيرة العرب والأقطار العربية و سيطرتهم السياسية على كثير من أجزائها حقيقة مؤلمة يفزع لها كل مسلم و يعتبرها كزلزلة الساعة و رجفة القيامة ، و تمثل بشطر بيت للحكيم السنائى — الذى وقف

(١) لا ينسى القارى أن هذه القصيدة قيلت عام ١٩٣٣ م

(٢) كنايات عن المقدسات والأشياء الحبيبة إلى نفوس المسلمين

إقبال على قبره و نظم هذه القصيدة — قاله عند ما ملك التتار العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه و هددوا الحرمين الشريفين . لقد ملك التتار مركز الاسلام والعرب — الذين كانت لهم الوصاية على العالم الاسلامى وهم مسئولون عنه — فى نوم عميق لذيذ

و ينتقد الشاعر الحضارة العصرية التى كان مصدرها أوربا الثائرة الحائرة فيقول فى تحليل عالم فيلسوف : إن الحياة الانسانية لا تستقيم و لا تتزن إلا إذا جمعت بين النفى والإثبات بين الجحود الزائف الباطل و بين الإيمان بالحق الثابت و تلك هى الكلمة الجامعة التى أصبحت شعار الاسلام و عقيدته « لا اله إلا الله »

فالشطر الأول — الذى هو النفى — انكار لجميع الآلهة الباطلة من أصنام و مادة و سلطان ، والشطر الثانى — الذى هو الاثبات — إقرار للحق الذى لا حق غيره و قد قطعت أوربا الشوط الأول بشجاعة و قوة و أنكرت الوسائط بين الله و بين العبد ، و ثارت إلى الاحتكار الدينى الذى مثلته الكنيسة اللاتينية فى القرون الوسطى و ألحت عليه طبقة رجال الدين والكهنوت و ثارت كذلك على الحكومات الجائرة المستبدة فأحسنت ولكن خذلها التوفيق فى قطع الشوط الثانى الأخير شوط الاثبات والتقرير والايمان الجازم والانسان لا يعيش على النفى فقط ، ولا يتكون المجتمع ولا تقوم الحضارة على النفى وحده فلذلك بقيت أوربا — التى أخضعت العالم لعلمها و تنظيمها و سخرت الطبيعة لمقاصدها و مصالحها — حائرة مضطربة تائهة لا تملك الايمان و لا تملك

العاطفة و لا تملك الغايات الصالحة و أصبحت مهددة فى الزمن الأخير بالانهيار أو الانتحار — و هكذا لخص محمد إقبال تاريخ أوربا المدنى والفكرى الطويل فى عبارة وجيزة و مقطوعة شعرية هى عصارة دراسة طويلة و تفكير عميق ،

والشاعر غير متشائم فى نظرته و حكمه وهو غير يائس من مستقبل الشرق فيقول : إن الشرق زاخر بالقوة والإنتاج و يبدو من هذا « المحيط الهادى » مرجة قوية ، تهز العالم و تزلزل أوكار الفساد والاستبداد و يرجع الشاعر فينعى على الاستعمار الذى يرزح تحته الشرق الاسلامى والذى أثر فى تفكيره و مشاعره ففقد الشعور بالجمال و أصبح لا يوثق بآرائه واتجاهاته و يقول : إن المحكوم الرقيق لا يوثق باحكامه ولا يعتمد على استحسانه واستهجانه و إنما الميزان هو الرجل الحر والشعب الحر الذى يعيش حراً كريماً مستقلا بتفكيره و ميوله فإن الأحرار هم وحدهم أصحاب الفراسة الصادقة والبصيرة النافذة ، و إن رجل الساعة هو الذى شق بهمته الطريق إلى المستقبل و لم يقتنع بالحاضر .

و يرجع إلى تاثير الثقافة الأوربية فى عقول الشباب — الاسلامى و من أدرى به منه فقد نشأ فى أحضانها — فيقول لقد نجح المربى الغربى — الذى برع و فاق فى صناعة الزجاج (١) فى مهمته حتى استطاع أن يضعف الأمم التى عرفت بالنخوة

(١) يكنى به إقبال عن تاثير الحضارة الأوربية فى أخلاق الشرقيين و ما يتصفون به بعد الثقافة الأوربية من الرقة والنعومة والفسولة ،

والشكيمة والأنفة فأصبحت شعوباً رخوة ناعمة و أثر فى الصخور والحجارة حتى أصبحت تسيل رقة و فقدت صلابتها و استقامتها و بالعكس قد ملكت الإكسير الذى يحول الزجاج إلى حجارة صماء لا توثر فيها السيول الجارفة والمعاول الهدامة ، لقد استطعت أن أقاوم الفراعنة الذين مازالوا منى بالمرصاد بفضل اليد البيضاء (١) التى أخفيها فى أكمامى ولا عجب ! فان الشرارة التى خلقت لتحرق غابة بأسرها لا يتغلب عليها الحشيش والهشيم

إن الحب يبعث فى الرجل الاعتداد بالنفس والاحتفاظ بالكرامة ويمنع من الوقوف على أبواب الملوك والخضوع للمادة والسلطان

و هنا تأخذه الهزة و يملكه حب النبى صلى الله عليه وسلم والإعجاب بشخصيته المعجزة و رسالته الخالدة — و هو الموضوع الذى لا يملك إقبال امامه نفسه — فيقول : لا عجب إذا انقادت لى النجوم و خضعت لى الأفلاك والكواكب فقد ربطت نفسى بركاب سيد عظيم لا يأفل نجمه ولا يعثر جده ، ذلك هو البصير بالسبل خاتم الرسل و إمام الكل محمد صلى الله عليه و سلم الذى وطأت قدمه الحصباء فأصبحت إثمداً يكتحل به السعداء .

و هنا يقف الشاعر و يقول : يمنعنى الحياء من الشاعر الحكيم — السنائى الغزنوى — والأدب معه أن استرسل فى الكلام واطيل الموضوع و إلا أمامى مجال واسع من المعانى والبحر زاخر بالدرر واللآلى

(١) كناية عن الايمان والاستغناء عن المادة والحكومة .

بين التصوف والحياة

للاستاذ الكبير عبدالبارى الندوى

تعريب

الأستاذ محمد الرابع الندوى

إن من غرائب الأمور أن يعتقد كثير من الناس أن التصوف هو الكمال فى الدين والدرجة التى تدعى بدرجة الإحسان و هى أعظم درجة من درجات الاسلام والايمان ، و تجد كثيراً من الناس يعتقدون أن المنزلة التى تحصل للتصوفين والأولياء عند الله من حيث التقرب والدنو إليه ، لا تحصل لغيرهم حتى لكبار الفقهاء والمحدثين الذين يحملون العلوم الشرعية الظاهرة ،

إن هؤلاء الصوفية و أولياء الله ليحملون فى جميع أعمال حياتهم و أفعالها و حركاتها و سكناتها صلة إلهية خاصة يكونون معها كأنهم فى المشاهدة الإلهية والحضور السماوى فى كل زمان ، و كأنهم متمتعون بلون ما من ألوان المكالمة والمناجاة مع الله ، فبذلك لا يرون أحداً أعلى منزلة من الصوفية غير الأنبياء عليهم السلام و هذا الاعتقاد عن الأولياء الصوفية ليس خاصاً بعامة الناس فحسب ،

بل إن الخاصة من الناس والمحققين منهم أيضاً يسلمونه و يعترفون به ،

و فى جانب آخر نجد شبهات كبيرة و أفهاماً خاطئة تسربت إلى الناس عن طريق التصوف لا نحسب أن مثلها عمت وانتشرت عن طريق نحلة من النحل الاسلامية أو علم من العلوم الاسلامية إلى أننا قلما نجد صورة من صور الكفر والشرك لم يعدها بعض الناس من صميم التصوف أو من التصوف بعينه ولذلك نجد أن كثيراً من الشخصيات الاسلامية الكبرى أنكرت التصوف و نعت عليه برمته أو حسبته الضلالة بعينها

والسر فى هذا التناقض أن منشأ الكمال فى شئ إنما هو فى باطنه أكثر مما يكون فى ظاهره ، و فى قوته أكثر من مقداره ، و فى لبه أكثر من قشره ، و فى روحه أكثر من جسمه ، و فى مغزاه أكثر من شكله ، و كلما كان الشئ أعرق فى الباطن والغموض كان أشد تعرضاً للشبهات والضلالات ، و تطرقت إليه الأوهام و نسجت حوله الأساطير ، و مما لا شك فيه أن الشبهات والضلالات التى عدت من صميم الدين و كمالاته صعب اقتلاع جرثومتها واستئصال جذورها ، فلذلك نرى أن الضلالات التى دخلت فى الاسلام عن طريق التصوف حتى ما يبلغ منها درجة الاشراك بالله والالحاد فى الدين قد تغلغلت فى حياة المسلمين حتى أصبحوا يعدونها من صميم الدين و أصله ، إلى أنه لم يعد من الامكان إزالتها واستئصالها إلا بجهد و عسر ،

لقد وقع العامة و عدد كبير من الخاصة نحو التصوف فى شبهات عظيمة فمنهم من يعد التصوف كشوفا و كرامات و تصرفات ، و منهم من ينظر إلى الأشغال الروحية والمراقبات والأحوال والكيوف الباطنية هو التصوف بعينه ، و يؤمن بذلك و منهم من لا يعد التصوف إلا تقاليد و عادات خاصة ، و منهم من يراه رياضات و مجاهدات و زهادة فى العلاقات الاجتماعية ، و منهم من يعد التصوف الفلسفى أو التصوف المصطبغ بالصبغة الفلسفية من أفكار وحدة الوجود و وحدة الشهود و أنظارهما هو التصوف الحق ، و منهم من يرى التصوف مجموعة من الأسرار والمغيبات ، و قد بلغ الأمر فى ذلك إلى أن سماه رجال الغرب باسم « السرية » ، و كثير من المسلمين أيضاً جعلوه سراً أو رمزاً متنقلا من صدر إلى صدر ، أما الذين رأوا التصوف والطريقة والحقيقة والمعرفة ضداً للشريعة فأولئك هم الذين وقعوا فى ضلالة أشد و خطأ أطم ،

و قد وفق الله المصلح الكبير الشيخ أشرف على التهانوى رح بالتمحيص فى هذا الباب و قد نقح مثل هذه الأخطاء المختلفة فكان عمله ذلك عملا تجديدياً فى باب التصوف ، و لم يقتصر — رحمه الله — على هذا الجانب السلبى بل أضاف إلى ذلك الجانب الايجابى و هو أنه وفق إلى عرض التصوف عرضاً صحيحاً إسلامياً حتى تحقق أن التصوف ليس إلا تعبيراً للشريعة الاسلامية و تفسيراً لها ، لم يؤد الشيخ هذا العمل التجديدى نظرياً و علمياً

بل إنما أحيا التصوف عملياً و حققه بوسائل التعليم والتربية فى غاية من التحقيق والاجتهاد و بعثه بعثاً جديداً ،

و خلاصة بحوثه أنك كما ترى « للانسان الكامل » وجهين الظاهر والباطن أو القالب والقلب كذلك ترى « للدين الكامل » وجهين « الشريعة » و « الطريقة » وكما أن الفقهاء يستنبطون و فى الشريعة أعمالا و أحكاما ظاهرة كذلك الصوفية يستنبطون و يستخرجون من الطريقة التصوف أعمال القلب والباطن و أحكامهما ،

يمكننا أن نشرح ذلك فى عبارة أخرى فنقول أن التصوف يحل من الباطن ذلك المكان الذى يحله من الظاهر « الفقه » فكما أن للصلاة والصيام و غيرهما من الأعمال والعبادات صورة ظاهرة توجد أحكامها و مسائلها فى علم الفقه ، كذلك الخضوع والخشية و حضور القلب ، أو ذكرالله تعالى بالقلب الذى هو غاية الصلاة (أقم الصلاة لذكرى) صورة باطنة توجد أحكامها و تفاصيلها فى هذا العلم الذى يستحق أن يسمى « فقه الباطن » و كما أن العزوف عن الطعام والشراب فى وقت محدد يسمى صوماً فى الأعمال الظاهرة كذلك باطنه يسمى التقوى الذى أشار إليه الله سبحانه و تعالى بقوله (لعلكم تتقون) ثم كما أن للاعمال الشرعية قالباً و مظهراً خارجياً لا تتحق بغيره ولا تتجلى إلا فيه كذلك هذه الأعمال الشرعية لا تبلغ درجة الصحة و لا تخرج من الفساد و لا تحرز عند الله القبول و لا تأمن سخطه إلا إذا كانت متسمة بنيات صالحة و متصفة بالاخلاص ، فقد جاء فى الحديث (إنما الأعمال بالنيات)

حتى أن الايمان والعقائد الصالحة التى يتوقف عليها نجاة الرجل و سلامته فى الآخرة و تنحصر فيها صحة أعمال الرجل الظاهرة و إحراز كل ذلك للقبول عند الله ليسا إلا عملين قلبيين باطنيين ، و بذلك تظهر أهمية هذا الفقه الباطنى أو التصوف و مكانه من الشريعة الاسلامية ،

يعلم الجميع أن أساس جميع العقائد والايمانيات هو توحيد الرب تعالى و هو إثبات كلمة (لا إله إلا الله) بمعنى نفى الالوهية والربوبية عن جميع المخلوقات و نفى صدور النفع والضرر فى صورة الفعل والتأثير عنها و تقرير كل ذلك و إثباته لله وحده ، و مما لا شك فيه أن الانسان لا يخضع لأحد و لا يتخذه إلهه و ربه و لا يعبده و يتضرع له إلا إذا انكشف له أنه هو النافع والضار ، و معنى كلمة لا إله إلا الله أننا نؤمن بأن النفع او الضرر الذى يصيبنا فى صور ظاهرة مختلفة و بطرق متنوعة من الموت والحياة والمرض والصحة أو الفقر والرفاهة والذلة والشرف ليس فيه الفاعل الحقيقى إلا الله جل و علا ، و ليست هذه العقيدة غير عمل القلب والباطن ، لكن كثيراً من العلماء المتقنين للعلوم والأحكام الظاهرة والعاملين بها يجعلون — مع الأسف — غير الله مصدراً للنفع والضرر و مبعثاً للفعل والتأثير بكل جسارة ،

و يشاهدون هذا التأثير فى غير الله ، أليس نفى هذه المشاهدة الزائفة ، و نفى هذه الابهة المزيفة و مشاهدة الموثر الحقيقى والفاعل الحقيقى فى هذا الكون ، التى عبر عنها لسان الشريعة بالاحسان

و هى التى يسميها الصوفيـة « التوحيد الأفعالى » و تفسيره أن تنشأ مع الله علاقة العبودية الخالصة بحيث تحصل فيها مشاهدة الله و رويته والإذعان بحضوره و معيته فى الحياة و فى جميع أعمالها أليس هذا التوحيد الحقيقى هو الدين نفسه والكمال فى الدين أ فلا يكون هذا العلم والاذعان و هذا اليقين والايمان روح جميع العبادات والمعاملات فى الحياة الدينية و أفلا يكون صيانة هذه الروح و حفظ هذا النبع أو الايمان والعقيدة افضل و الزم من جميع الأعمال الظاهرة الأخرى ،

التصوف هو الفقه الباطنى :

إن التصوف أو العلم الباطنى الذى بالغ فيه الناس مبالغة عظيمة و صوروه تصويراً شائهاً و شرحوه شرحا طبعه بطابع الضلالة والبدعة ليست حقيقته إلا انه قانون لأعمال القلب والباطن و علم الفقه لصلاحها و فسادهما مثل علم الفقه والأحكام المقررة لأعمال الجسد و جوارحه . و نجد تفاصيل أحكام التصوف منصوصة فى الكتاب والسنة مثل ما نجد أحكام الفقه الظاهرى منصوصة فيها و تبين أهمية أحكام التصوف و افضليته من نصوص القرآن والحديث التى تصرح بها أو تلمح إليها حيث قال الله تعالى (يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم) و جاء شرحه و إيضاحه فى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم (ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هى القلب) و مراد ذلك ان صلاح أعمال

الجسد الظاهرية و أفعاله و فساد أعمال الجسد الظاهرية و افعاله إنما يتوقفان على الصلاح القلبى والباطنى و فساده وليس الغرض من التصوف أو الفقه الباطنى إلا إصلاح هذا القلب و تزيينه و صيانته من الشر والطب له عند فساده و مرضه

حينما علمنا هذه الحقيقة للتصوف والطريقة عرفنا ان التصوف بدل أن يكون مناقضاً للدين والشريعة و مضاداً لهما ، يحتل مكاناً يستحيل معه لمسلم ما أن يبلغ درجة المومن الحق بدون أن يتخذ من التصوف لحياته منهاجا ، أما إذا كان رجل ما ينفر ذهنه و يشمئز هو من اسم التصوف و مصطلحه أو كان يأبى عن أن يعترف بالتصوف كعلم بعينه و فن بذاته فلم لا ينفر و لا يشمئز عن المصطلحات الدينية الأخرى من تفسير و مفسر و تجويد و مجود و حديث و محدث و فقه و فقيه و كلام و متكلم و غيرها مما تعرف بها علوم الدين المختلفة و فنونها جمعاء ، فان قال ان هذه المصطلحات مستقاة و مقتبسة من الفاظ القرآن والحديث و عباراتها فيرد عليه بأن كلمة الصوفى ربما كانت فى أصلها مقتبسة من أصحاب الصفة بدل أن تكون مقتبسة من لابسى الصوف و إن لم يقبل هذا الرد أيضاً فلم لا يسمى هذا العلم بعلم الاحسان أو علم القرب ، بدل أن يسميه التصوف مثل الآخرين كما فعل ذلك عديد من أكابر الصوفية ،

لقد قام الشيخ التهانوى الجليل رحمه الله — نظراً إلى أهمية تجديد التصوف و ضرورة تعليمه و إبانة حقيقته — بتأليف رسائل

كبيرة و صغيرة مفردة لهذا الموضوع و غير مفردة و بمواعظه و ملفوظاته ، (١) و عرض فى تأليفاته المختلفة لهذا الموضوع بايجاز و بتفصيل و بعناوين مختلفة و تعابير منوعة فى ذكر التصوف و شرحه شرحاً مبسوطاً ، فكتب فى توطئة رسالة له اسمها حقيقة التصوف ،

« إن الأعمال التى أمرت الشريعة الاسلامية باتيانها أو نهت عنها هى من نوعين ، بعضها تتعلق بظاهر الجسد و بالحقائق المعروفة العامة مثل الشهادة باللسان والصلاة والصيام والحج والزكاة و خدمة الأبوين و هى تسمى مأمورات و مثل التكلم بكلمة الكفر والاتيان بأعمال الشرك والزنا والسرقة و أكل الربا والارتشاء و هى تسمى منهيات ، و أمرت بجوار منها بأعمال تتعلق بالباطن و هى الايمان والتصديق والعقائد الصالحة والصبر والشكر والتوكل والرضا بقضاء الله والتسليم والاخلاص له و محبة الله و رسوله وما سواها من الاعمال الحسنة الأخرى و هى مأمورات و فضائل أيضاً اما العقائد الباطلة و عدم الصبر والكفران والرياء والكبر والعجب و غيره فهى المناهى والرذائل التى نهت عنها الشريعة الاسلامية ،

تجد فى القرآن (أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة) و تجد (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) و تجد (واشكروا الله) و كما تجد فى موضع من القرآن (كتب عليكم الصيام) و (لله على الناس

(١) ملفوظات .. كتب للمتأخرين يجمعون فيها كلمات شيوخهم و فوائدهم المنثورة

حج البيت) تجد كذلك فى موضع آخر (يحبهم و يحبونه) و (والذين آمنوا أشد حباً لله) و كما تجد فى موضع (إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) تجد فى موضع آخر (يراؤون الناس) و كما تقرأ لوماً و تقريعاً على تارك الصلاة و مانع الزكاة تقرأ كذلك ذماً و إنكاراً على صاحب الكبر والعجب ، وكل ذلك يوجد فى الأحاديث أيضاً فحينما نرى فيها أبواباً لبيان الصلاة والصيام و شرح أحكام البيع والشراء والزواج والطلاق ، نرى أبواباً أيضاً فى ذم الرياء و طلب السمعة والكبر و غيره »

لا يمكن لامرئ مسلم أن ينكر أن الأعمال الباطنية تعادل الأعمال الظاهرة بكونها أحكاماً إلهية أ يمكن أن يقر الرجل فى آية (أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة) بأنها مكونة بفعل الأمر و صيغته و لا يقر بعد ذلك فى كلمة (إصبروا واشكروا) بنفس الفعل و نفس الصيغة و هل يمكن أن يقول أن (كتب عليكم الصيام) يدل على شرعية الصوم و لا يدل (والذين آمنوا أشد حباً لله) على أن المحبة مأمور بها بل لو حققنا النظر فى هذا الباب لعلمنا أن الأعمال الظاهرة هى نفسها لم تفرض إلا لتخدم الانسان فى تزكية باطنه ، و لعلمنا أن تزكية الباطن هى غاية فى محلها و هى مستوجبة لنجاة الرجل فى الآخرة و أن فساد الباطن و قذارته يستوجبان الهلاك فى الآخرة فان الله سبحانه قال (قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها) و قال (يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) تدل الآية الأولى على أن

تزكية الباطن مستوجبة للفلاح و تدل الآية الثانية على أن سلامة القلب إذا فقدت عن إنسان لم ينفعه مال و لا بنون ،

إن الايمان والعقائد التى يتوقف عليها قبول الأعمال إنما هى من عمل القلب ، و مما لا شك فيه أن الأعمال الانسانية كلها هى وسيلة مجردة و ليست كمال الدين و بذلك عرفنا أن الغاية الوحيدة للانسان هى تزكية القلب و أن القلب فى محل الملك بين رعيته و جنوده و أن الجوارح فى محل الجنود والعبيد فاذا صلح الملك تبعته فى صلاحه أتباعه و طاوعته (ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و أذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هى القلب) تثبت صحة ذلك فى كل حين و ذلك بأن قلب الانسان إذا انطوى على شئ غلب عليه واستعبد جوارحه لخدمته فجعل العين تنظر له والأذن تسمع له واليد تتناول ما يشتهيه والقدم تريد المشى إلى ما يريده سواءاً كان ذلك الشئ شراً أو خيراً و ليس ذلك إلا لأن هوى القلب هو الذى يبعث هذه الجوارح على إتيان هذه الأعمال ،

هؤلاء رجال الدنيا ينغمسون فى أعمالهم انغماساً لا يدعهم يسمعون حتى صوت الأذان الذى يدوى فى الأرجاء و كذلك الذين يستديمون ذكر الله والتأمل فيه يغرقون فى ذلك فلا ينقطعون عنه لحظة و لا يلفتهم شئ دونه ، فهذا هو الاستغراق حينا يكون للدنيا و حيناً يكون فى أمر الدين ،

ردة جديدة

للاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

شهد التاريخ الاسلامى حوادث ردة عديدة ، أبرزها و أعنفها ردة القبائل العربية على إثر وفاة الرسول ، الثورة الكبيرة التى وأدها أبوبكر الصديق فى مهدها بايمانه و عزمه الذى ليس له مثيل فى التاريخ ؛ و منها حركة التنصر التى انتشرت فى أسبانيا على أثر جلاء المسلمين ، والتى ظهرت فى بعض الأقطار التى استولت عليها الدول الغربية المسيحية و نشط فيها القسوس « والارساليات » ؛ و منها قضايا شاذة ، من ارتداد بعض ضعاف العقول و صغار النفوس من المسلمين عن دين الاسلام واعتناقهم البرهمية أو الآرية فى الهند ، و لكنها حوادث نادرة جداً ، و فى الحقيقة أن تاريخ المسلمين لا يعرف الردة العامة — إذا استثنينا أسبانيا البائسة — إذا صح أن نسميها ردة — كما اعترف به مؤرخو الديانات .

و تتسم هذه الحوادث كلها بسمتين . أولاهما المقت الشديد من المسلمين ، والثانية الانفصال عن المجتمع الاسلامى ؛ فكان كل

من يرتد عن دينه يستهدف لسخط المسلمين ، و ينفصل عن المجتمع الذى يعيش فيه بطبيعة الحال ، و تقطع بمجرد ارتداده بينه و بين ذوى قرابته الأواصر والأرحام . وكانت الردة انتقالا من مجتمع إلى مجتمع و من حياة إلى حياة ، وكانت الأسرة تقاطع المرتد و تهجره و تقصيه ، فلا مصاهرة ، و لا زواج ، و لا إخاء ، و لا توارث ، وكانت حركات الردة تثير روح المقاومة فى المسلمين والمقارنة بين الديانات ، والدفاع عن الاسلام ، وكل قطر من أقطار المسلمين ظهرت فيه حوادث الردة تحمس علماء المسلمين و دعاة الاسلام و حملة الأقلام فيه للرد عليها و تتبع أسبابها و عرض محاسن الاسلام و مزاياه، و اجتاحت المجتمع الاسلامى موجة عنيفة من السخط والاستنكار والقلق ، وكانت هذه الحوادث المقيمة المعقدة للمسلمين ، وكانت الحديث العام والشغل الشاغل للعامة فضلا عن الخاصة و أهل الغيرة الدينية . هذا ما اتسمت به حوادث الردة على ندرتها و شذوذها و على عدم تأثيرها فى الحياة .

ولكن جرب العالم الاسلامى فى العهد الأخير ردة اكتسحت عالم الاسلام من أقصاه إلى أقصاه ، وبذت جميع حركات الردة التى سبقتها فى العنف و فى العموم ، و فى العمق و فى القوة ، و لم يخل منها قطر ، و قلما خلت منها أسرة من أسر المسلمين . هى ردة تلت غزو أوربا للشرق الاسلامى الغزو السياسى والثقافى وهى أعظم ردة ظهرت فى عالم الاسلام و فى تاريخ الاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم الناس هذا .

ماذا تعنى الردة فى عرف الاسلام و فى مصطلح الشريعة الاسلامية ؟ هى ابدال دين بدين و عقيدة بعقيدة ، و إنكار ما جاء به الرسول و تواتر عنه و ثبت بالضرورة من دين الاسلام . و ماذا كان يفعل المرتد ؟ ينكر الرسالة المحمدية — على صاحبها الصلاة والسلام — و ينتقل إلى المسيحية أو اليهودية أو البرهمية ، أو يلحد فى الدين و ينكر الرسالات والوحى والمعاد . هذا ما كان يعرفه العالم القديم أو المجتمع القديم من معانى الردة ، وكان كل من يرتد عن دينه يدخل الكنيسة إذا تنصر أو يدخل الهيكل أو معبد الأصنام إذا اعتنق البرهمية مثلا ، فيعرف ذلك الجميع ، و يصبح شامة بين الناس يشار إليه بالبنان ، و يقطع منه المسلمون الأمل ، و لا يكون ارتداده — فى غالب الأحوال — سراً من الأسرار .

حملت أوربا إلى الشرق الفلسفات التى قامت على انكار أسس الدين و انكار القوة المصرفة لهذا العالم ، القوة الواعية التى أخرجت هذا العالم من العدم إلى الوجود و يبدها زمام الكون (ألا له الخلق والأمر) و على انكار عالم الغيب والوحى والنبوءات و انكار الشرائع السماوية ، و انكار القيم الروحية والخلقية : منها ما تبحث فى علم الحياه والنشوء والارتقاء ، و منها ما تتصل بالأخلاق ، و منها ما تدور حول علم النفس ، و منها ما موضوعها لاقتصاد والسياسة . و مهما اختلفت هذه الفلسفات فى ألوانها و أهدافها و أسسها ، فانها جميعاً تلتقى على النظرة المادية

المحضة إلى الانسان و إلى الكون، والتعليل المادى لظواهرهما و افعالها .

فوت هذه الفلسفات المجتمع الشرقى الاسلامى و تغلغلت فى أحشائه ، وكانت أعظم ديانة ظهرت بعد الاسلام فى التاريخ ، أعظمها انتشاراً وأعمقها جذوراً و أقواها سيطرة على العقول و القلوب ،و أقبل عليها زهرة البلاد الاسلامية و زبدتها عقلا و ثقافة ، و أساغتها و هضمتها و دانت بها — كما يدين المسلم بالاسلام والمسيحى بكل معنى الكلمة — فهى تسمميت فى سبيلها و تقدس شعائرها و تجل قادتها و دعاتها ، و تدعو إليها فى أدبها و مؤلفاتها ، و تحتقر كل ما يعارضها من الأديان والنظم والعقليات ، تواخى كل من يدين بها ، فأفرادها أمة واحدة و أسرة واحدة ، و معسكر واحد .

و ما هى هذه الديانة و إن أبى أصحابها أن يسموها ديانة ؟ انكار لفاطر الكون العليم الخبير الذى قدر فهدى ، و إنكار للمعاد و حشر الأجساد و وجود الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، و إنكار النبوءات والرسالات ، و إنكار الشرائع السماوية والحدود الشرعية ، و إنكار أن الرسول الأعظم هو الذى فرض الله طاعته على جميع الخلق و حصر الهداية والسعادة فى اتباعه ، و أن الاسلام هو الرسالة الأخيرة الخالدة المتكفلة لجميع السعادات الدنيوية والأخروية و نظام الحياة الأمثل الأفضل ، و هو الدين الذى لا يقبل الله غيره و لا يسعد العالم سواه ، و إنكار أن الدنيا خلقت للانسان و أن الانسان خلق لله .

هذه ديانة الطبقة المثقفة الممتازة التى تملك زمام الحياة فى أكثر البلدان الاسلامية و إن لم تكن كلها طبقة واحدة فى الايمان بها والتحمس لها ، و فيها و لا شك مؤمنون بالله متدينون بالاسلام و لكن سمة هذه الطبقة التى تغلب عليها مع الأسف و ديانة أكثر أفرادها و رؤسائها هى الديانة المادية و فلسفة الحياة الغربية التى قامت على الالحاد ،

إنها ردة ، أعود فأقول ، اكتسحت العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و غزت الأسر والبيوتات ، والجامعات والكليات والثانويات والمؤسسات ، فما من أسرة مثقفة — إلا من عصم ربك — إلا و فيها من يدين بها أو يحبها أو يجلها ، و إذا استنطقته أو خلوت به أو أثرته عرفت أنه لا يؤمن بالله ، أو لا يؤمن بالآخرة ، أو لا يؤمن بالرسول صلى الله عليه و سلم ، أو لا يؤمن بالقرآن كالكتاب المعجز الخالد و دستور الحياة ، و أفضلهم من يقول إنه لا يفكر فى مثل هذه المسائل و لا يهتم بها كبير إهتمام ،

إنها ردة ، و لكنها لم تلفت المسلمين ، و لم تشغل خاطرهم ، لأن صاحبها لا يدخل كنيسة أو هيكلا و لا يعلن ردته و انتقاله من دين إلى دين و لا ينتبه لها المجتمع فلا يحاسبه و لا يعاتبه و لا يفصله بل يظل يعيش فيه و يتمتع بحقوقه و قد يسيطر عليه : إنها قضية العالم الاسلامى الكبرى ، إنها مشكلة الأمة الاسلامية الكبرى ، ردة تنتشر و تغزو المجتمع الاسلامى ثم لا ينتبه لها

أحد ، و لا يفزع لها العلماء و رجال الدين ، لقد قالوا قديماً :
قضية و لا أبا حسن لها ، و أقول قضية و لا أبا بكر لها ،
انها قضية لا تطلب حرباً و لا تطلب تهييج الرأى العام ،
و لا تطلب ثورة ، و لا تطلب عنفاً بل إن العنف يضرها
و يهيجها ، والاسلام لا يعرف محاكم التفتيش ، و لا يعرف
الاضطهاد ، إنها تطلب عزماً و تطلب حكمة و تطلب صبراً
واحتمالا ، و تطلب دراسة .

لماذا انتشرت هذه الديانة فى الشرق الاسلامى ؟ و لماذا استطاعت أن تغزو المسلمين فى عقر دارهم ؟ و لماذا استطاعت أن تسيطر على العقول والنفوس هذه السيطرة القوية ؟ ان كل ذلك يطلب التفكير العميق الدقيق ... والدراسة الواسعة .

ضعف العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر المسيحى فى الدعوة والعقيدة والعقلية والعلم و بدا عليه الأعياء والشيخوخة ، والاسلام لا يعرف الشيخوخة والهرم ، انه جديد كالشمس ، و قديم كالشمس ، و شاب كالشمس ، و لكن المسلمين هم الذين شاخوا و ضعفوا : فلا سعة فى العلم و لا ابتكار فى التفكير والانتاج ، و لا عبقرية فى العقل ، و لا حماسة فى الدعوة ، و لا عرضاً جميلا مؤثراً للاسلام و مزاياه و رسالته ، إلا النادر القليل .

و لا صلة بالشباب المثقف و تأثير فى عقليتهم و هم أمة الغد والجيل المرتجى ، و لا محاولة لاقناعهم بأن الاسلام هو دين الانسانية والرسالة الخالدة ، و أن القرآن هو الكتاب المعجز

الخالد الذى لا تنقضى عجائبه و لا تنفد ذخائره و لا تبلى جدته ، و أن الرسول هو المعجزة الكبرى و رسول الأجيال كلها و إمام العهود كلها ، و أن الشريعة الاسلامية هى الآية فى التشريع و هى الصالحة لمسايرة الحياة و قضاء مآربها الصالحة والاشراف عليها ، و أن الايمان والعقيدة والأخلاق والقيم الروحية هى أساس المدنية الفاضلة والمجتمع الكريم ، و أن الحضارة الجديدة لا تملك إلا الوسائل والآلات ، و أن تعاليم الأنبياء هى مصدر العقيدة والخلق والغايات و لا مطمع فى المدنية الصالحة المتزنة إلا بالجمع بين الوسائل والغايات .

فى هذه الساعة هجمت أوربا بفلسفاتها التى تعب فى تدوينها و تهذيبها كبار الفلاسفة و نوابغ العصر ، و صبغوها بصبغة علمية فلسفية يخيل إلى الناظر أنها غاية ما يصل إليها التفكير الانسانى و منتهى الدراسات والاختبارات و نتاج العقول البشرية و عصارة التأملات ، و كان فيها ما يقوم على الاختبار والمشاهدة و تصدقه التجربة و ما يقوم على الافتراض والتحكم والتخيل والتوهم ، و فيها الحق والباطل والعلم والجهل والحقائق الراهنة والتخيلات الشعرية و ليس الشعر محصوراً فى النظم والقوافى ، هو فى الفلسفة والعلم أيضاً .

و وردت هذه الفلسفات مع الفاتحين الأوربيين فخضعت لها العقول والنفوس الشرقية و أذعنت لها و قبلتها الطبقة المثقفة فى الشرق ، و فيها من يفهمها — و هم القلة القليل — و فيها من لا

بفهمها و هم الكثرة الكاثرة ، و لكن كل مؤمن بها ، مسحور بسحرها ، يرى الظرافة والكياسة فى اعتقادها ، و يرى ذلك شعار المثقفين الأحرار .

و هكذا انتشر الالحاد والارتداد فى الأوساط الاسلامية من غير أن ينتبه له الآباء والأساتذة والمربون و أهل الغيرة الاسلامية ، لأن أهلها لم يقوموا فى كنيسة ، و لم يدخلوا فى معبد ، و لم يسجدوا لصنم ، و لم يذبحوا لطاغوت ، و كان ذلك دليل الارتداد والكفر والزندقة فى العهد القديم .

و كان المارقون القدماء يخرجون من المجتمع الاسلامى و ينضمون إلى مجتمع الديانة التى يدينون بها جديداً ، و يعلنون عقيدتهم و تحولهم بصراحة و شجاعة ، و يحتملون كل ما يخسرونه فى سبيل عقيدتهم الجديدة ، و لا يلحون على البقاء فى المجتمع القديم ليحافظوا على ما كانوا يتمتعون به من حقوق و حظوظ .

أما الذى يقطع صلته عن دين الاسلام اليوم فلا يريد أن يقطع صلته عن المجتمع الاسلامى مع أن المجتمع الاسلامى هو المجتمع البشرى الوحيد الذى يقوم على العقيدة ، فلا يتحقق هذا المجتمع من غير عقيدة ، و يلحون على أن يعيشوا فى مراكزهم متمتعين بثقة هذا المجتمع ، متمتعين بالحقوق التى يخولها اسلام ، إن هذا وضع شاذ لم يعرفه التاريخ الاسلامى .

يجب أن نواجه الحقيقة بوعى و فقه و شجاعة ، أن العالم الاسلامى يعانى اليوم ردة دينية و فكرية و ثقافية جارفة يجب أن

تكون موضوع دراسة جميع من يهمهم الاسلام واهتمامهم ، إن الطبقة المثقفة فى كل قطر إسلامى مضطربة فى العقيدة متحللة فى الأخلاق ، مادية فى التفكير ، علمانية فى السياسة ، و إن كثيراً من رجالها — إن خفت أن أقول إن أكثر رجالها — لا يؤمنون بالاسلام كعقيدة و نظام ، والشعوب الاسلامية — و فيها كل خير و كل صلاح و كل استعداد و هى من أصلح الكتل البشرية فى العالم — خاضعة لهذه الطبقة بحكم ثقافتها و ذكائها و نفوذها ، و إذا بقى هذا الوضع تسرب الالحاد والفساد إلى هذه الشعوب و إلى الطبقات التى تعيش فى البادية والقرى و تعمل فى المصانع والمزارع و سارت فى طريق اللادينية والزندقة . هذا ما وقع فى أوربا ، و هو واقع فى الشرق إذا جرت الأمور مجراها الطبيعى و لم تحل ارادة الله القاهرة .

يجب أن نعترف أن العالم الاسلامى الذى تغنينا به طويلا والطبقة المثقفة فيه بصفة خاصة ، فى حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة ، و أن هتاف الدعاة والعاملين فيه و هدفهم اليوم « إلى الايمان من جديد » لا يكفى ، أنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل ، لا بد من تفكير هادئ عميق : كيف نرد الطبقة المثقفة التى تحتكر الحياة و تملك الزمام إلى الاسلام من جديد ، و كيف نبعث فيها الايمان والثقة بالاسلام ، و كيف نحررها من رق الفلسفات الغربية والحضارة المصرية و نظرياتها اللادينية .

إن هذه الدعوة — التى أعتقد أنها أفضل دعوة و أفضل

جهاد فى هذا العصر — فى حاجة إلى رجال ينقطعون إليها و يكرسون عليها علمهم و مواهبهم و كفايتهم ، و لا يطمعون فى منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة و لا يحملون لأحد حقداً أو ثرة ، ينفعون و لا ينتفعون ، و يعطون و لا يأخذون ، و لا يزاحمون طبقة فى شئ تحرص عليه و تتهالك ، حتى لا تكون لها حجة عليهم و لا للشيطان سبيل إليهم ، شعارهم الاخلاص والتجرد عن الشهوات والأنانيات والعصبيات .

إن طبيعة هذه الدعوة تخالف طبيعة السياسة والجمعيات والأحزاب اليوم ، و إن كانت لها قدوة فى سيرة الأنبياء و سيرة خلفائهم كالحسن البصرى ، و أحمد بن حنبل ، و أبى حامد الغزالى ، و عبدالقادر الجيلى ، وابن الجوزى الحنبلى ، وابن تيمية ، والشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندى الهندى .

إنها فريضة لا تحتمل التأخير ، و لا تأخير يوم واحد ، فالعالم الاسلامى يواجه اليوم موجة ردة عنيفة منتشرة فى أعز أبنائه و أقوى أجزائه ، إنها ثورة على أعز ما يملكه من عقيدة و خلق و قيم و لا بقاء للعالم الاسلامى بعد ضياع هذه الثروة التى خلفها الرسول و توارثتها الأجيال و جاهد فى سبيلها أبطال الاسلام .

فليكن الموضوع موضع دراسة واهتمام لجميع من يهمهم أمر الاسلام .

البحث عن الحق

— ٢ —

للأستاذ وحيدالدين

« نشر هذا المقال فى مجلة « زندكى » الغراء قدمنا حلقته الأولى فى العدد الماضى والآن نقدم الحلقة الثانية و نتبعها حلقات أخرى إن شاء الله »

« التحرير »

قد علمنا مما سبق أن هناك نظريتين لعلم الطبيعة اللتين تبحثان فى خلق هذا الكون و فيمن يدير نظامه ، و إن هاتين النظريتين ما وصلتا بعد إلى نتيجة بل لا تزالان محرومتين من نعمة الايمان واليقين و إن الاكتشافات الجديدة للعلم لا تدعم بنيانهما و إنما تزيده ضعفاً على ضعف فكأن العلم هو نفسه يفند هذه النظرية ، و نرى أن الانسان يستأنف سيره مرة أخرى و يتكرر فى ذهنه نفس السؤال ،

من خلق هذا الكون و من يدبر نظامه ؟ ؟ !

إن الانسان احتاج إلى أن يعرف من هو معبوده ؟ لأنه

قد شعر فى حياته بفراغ هائل ، و لكنه لم يعرف كيف يملأ هذا الفراغ و بأى شئ ؟ و إن شعور هذا الفراغ و بكلمة أخرى شعور البحث عن المعبود إنما هو من ناحيتين ، لأننا إذا تأملنا فى خلقنا مرة ثم ألقينا نظرة التأمل على هذا الكون مرة أخرى نجد أنفسنا تتجه نحو عاطفتين مختلفتين ، عاطفة الشكر و عاطفة العجز ،

إذا ألقينا نظرة على كياننا بل على أى جانب من جوانب حياتنا يبدو لنا جلياً واضحاً بأن هذه الحياة متمتعة بنعم كثيرة ترسلها لنا يد خفية و هنالك تنبعث فينا عاطفة الشكر التى تجرنا إلى أن نعطى لها مكانة سامية فى قلوبنا ، و من أجل ذلك ليست فكرة البحث عن المعبود فلسفة من الفلسفات المعقدة و إنما لها علاقة وثيقة بنفسية الانسان ، و إن السؤال عن الخالق والبحث عن المعبود ليس لحل مسئلة خارجة عن حياتنا و نفسياتنا بل إنه مطالبة تتعلق بالانسان فى جميع نواحيه و تدور حول كيانه بأسره .

و هل هنا من ينكر حقيقة وجوده فى هذا الكون كشخصية مستقلة لم يبذل فى تكوينها أى محاولة من عنده ؟ إذ يجد نفسه فى جسم متناسب لا يتصور له جسماً أحسن منه مع أنه ليس هو نفسه خالق هذا الجسم ، كما أنه يتمتع بمواهب عقلية شتى لم يرزق مثلها أى حيوان آخر ، و هو يعرف جيداً أنه لا قدرة له فى هذه النعم والمواهب و لا يسعه أن يتدخل فى شئ منها ، و من هنا يتضح أن خلقة الانسان إنما هى شئ موهوب فقط و لكن من

أين جاءته هذه الخلقة الرفيعة و من كساها إياه ؟

إن الفطرة الانسانية تواجه هذا السؤال دائماً ، و هى فى حاجة إلى معرفة تلك اليد الخفية . . حتى تشكر لها هذه النعمة العظيمة .

إن الانسان يفتح عينيه فى هذه الدنيا لأول مرة عند ما تلذه أمه ، فاذا هو لا يقدر على عمل و لا يملك ذرة و لا يستطيع سد حاجة من حوائجه الكثيرة ، و لكننا نرى أن حوائجه مهيأة لديه و كل ما يريده موجود عنده كأن هذا الكون كان فى انتظار أن يأتى المولود إلى الدنيا و يقوم هو بخدماته و يهيئ له كل ضروراته ،

و إن هذا الصوت الذى هو وسيلة لاظهار التعابير والأفكار ، كيف تمكنت الألسنة من أن تمثل تلك الأفكار عن طريق هذا الصوت و كيف أمكن للآذان أن تسمع هذه الأصوات و للعقول أن تفهم لها معانى .

من المعلوم أن هذه ضرورة فطرية تتعلق بنظام تام دقيق فى داخل الجسم ، و خارجه ، و إن الهواء واسطة بين هذا الصوت و بين الخواطر التى يريد الانسان اظهارها ، و لذلك فان الألفاظ التى نتكلم بها تتحول إلى موجة ساكنة و تمتد فى الفضاء كما تمتد الأمواج على وجه الماء ، فان الصوت الذى خرج من فم إنسان و وصل إلى الآذان لا بد من أن يتوسط الهواء لوصوله من الفم إلى الآذان

و إذا فقدنا هذه الواسطة نرى أن الشفاه تتحرك و لكن

الصوت ليس بمسموع ، و نأخذ لذلك مثال الفانوس المسدود إذا وضعنا فى داخله جرساً كهربائياً ، و ضربنا الجرس نسمع له صوتاً واضحاً ، أما إذا كان الفانوس مفرغاً من الهواء و ضربنا الجرس نراه يتحرك فى داخل زجاج الفانوس و لكن لا يسمع له صوت ، لأن حركة الجرس لم تتصل بالهواء الذى هو وسيلة لوصول الصوت إلى الآذان ،

أما الهواء من حيث كونه وسيلة لا يكفى فى كل مكان ، لأن الصوت يقطع على جناح الهواء فى كل خمس ثوان مسافة ميل واحد فقط و من أجل ذلك تنحصر فائدته للحوار فى بيئة محدودة ، و لو كانت موجات الصوت انتشارها بمجرد الهواء لكان من المحال إيصال الصوت من مكان إلى مكان ، و لكن هيأ الله تعالى لهذا الغرض وسيلة هى أسرع من الهواء بكثير و هى موجة الكهرباء التى تقطع فى كل ثانية مسافة مائة ألف و ستة و ثمانين ألف ميل و هذه هى الوسيلة التى تستخدم فى الرسالات البرقية ،

و عند ما يقوم المحاضر أمام المائكروفون فى محطة الاذاعات و يتكلم يجذب المائكروفون صوته و يحوله إلى موجات كهربائية و يوجهه إلى الارسالية والآلات الدقيقة فى الارسالية تموج الصوت و ترسله إلى الفضاء ،

و هنالك يتبين الفرق بين الهواء الذى يقطع مسافة ميل واحد فى خمس ثوان و بين الموجات الكهربائية التى تطوى نحو مسافة مائتى ألف ميل فى ثانية واحدة فقط و يرسل الصوت فى أقل من

لمحة إلى جميع أنحاء العالم ، و ذلك هو الصوت الذى يعيده لنا الراديو و نسمعه فى بيوتنا من وراء البحار بدون أى تأخير ،

هذا النظام الذى سميته لكم هو أحد الأنظمة المهيأة لحياة الانسان من عند الله و هى كثيرة جداً لا يكاد يحصيها أحد ، و لو ذكرت هذا أو آخر دونه بشئ من التفصيل لاسودت آلاف الصفحات و لم ينته بيانه ،

أ فلا يجب للانسان أن يعرف قدر هذه العطايا التى يحتاج إليها على الدوام و يستعملها فى كل حين آن ، والتى لا يستطيع بدونها عيشه على وجه الأرض و لا يتصوره مدنية فى هذه الدنيا أ ليس من حق عرفان الجميل أن يبحث الانسان عن من هيأ له هذه النعم والمواهب ،

إن من نفسية الانسان أن يندفع إلى الشكر والتقدير لمن صنع إليه المعروف و يعرف له الفضل الكبير ، و أن يجد نفسه مغمورة بعواطف التضحية لمن أحسن إليه بل و يقع هذا المحسن فى نفسه موقع اللحم والدم ، و هذه عاطفة شريفة فطر عليها الانسان و هكذا كل إنسان إذا فكر فى نفسه أولا ثم فى هذا الكون انبعثت فيه هذه العاطفة النبيلة ،

و لكن هل فكر الانسان فى هذه النعم و فيمن وهبها إياه و هل وجدت عاطفته جواباً من عند نفسه ؟ . . . . فمن أين جاءته هذه النعم التى يعيش فيها و يتنعم بها ، هل فكر فى هذا و لو مرة ؟ و هل من المعقول أن توجد النعم و لا يوجد المنعم و أن

توجد العاطفة و لا يوجد لها سبب ؟

هذه أولى الناحيتين اللتين يدور حولهما بحث المعبود والخالق كما أسلفت ذكره ،

أما الناحية الأخرى فهى أن الظروف التى تحيط بالانسان تقتضى أن يكون له دعامة يعتمد عليها فى حياته ، إذا سرحنا طرف البصيرة فى هذا الكون ظهر لنا أن الانسان هو فى غاية الضعف والعجز فى هذه الدنيا ، و لنتصور الفراغ الذى تدور فيه الأرض حول الشمس ، والكل يعرف أن كروية الأرض تبلغ زهاء خمسة و عشرين ألف ميل ، و إنها تدور حول القطب دوران الدوامة بحيث تنتهى دورة واحدة بعد كل أربع و عشرين ساعة ، و هكذا فستكون مسيرة الأرض نحو ألف ميل فى ساعة واحدة ، كما أنها تدور بسرعة حول الشمس بين دائرة مساحتها مأية و ستة و ثمانون مليون ميل ،

إن الأرض تدور فى الفراغ بسرعة هائلة تحت نظام خاص بمقدار معلوم و لو لاه لأشبهت حياة الانسان بالحصيات التى وضعت على عجلة متحركة و تدور مع دوران العجلة ، أضف إلى ذلك نظام جاذبية الأرض و ضغط الهواء الشديد من فوق ، إن إن ضغط الهواء على كل بوصة مربعة من الجسم يبلغ وزنها إلى خمسة عشر رطلا ، و يكون معدل جسم الانسان تحت ضغط نحو اثنين و عشرين ألف رطل ، و لو لا هذا النظام المدهش لما تمكن الانسان من أن يمكث فى هذه الأرض المتحركة و

يصرف فى حياته كيف يشاء ،

و كذلك نرى الشمس فنجد لها جرماً كبيراً يمتد فى ثمانمأية ألف و خمسة و ستين ميلا ، و هى أكبر من الأرض مليون مرة ، و هل تدرى أن الشمس بحر مائج من النار لا يستقر أمامه شئ ! و هل تعلم أن المسافة بين الأرض والشمس نحو عشرة ملائين ميل ، و لو كانت الشمس على نصف هذه المسافة لاحترق القرطاس من شدة حر الشمس ، و لو احتلت مكان القمر و نزلت إلى مسافة مأتين و أربعين ألف ميل لذابت الأرض و تحولت إلى البخار ،

إن الحياة و مظاهرها قائمة من أجل الشمس و لذلك تم وضع الشمس على بعد مسافة طويلة فى مكان لائق ، حيث إنها إذا ارتفعت قليلا من محلها لتجمدت الأرض كالثلج ، و إذا نزلت إلى الأسفل لاحترق المخلوق جميعاً ،

إن هذا الكون كمصنع واسع جداً و قد قاس علماء الفلك سعته بالضوء الذى يقطع مسافة مائة و ثمانين ألف ميل فى ثانية واحدة فاذا أراد الضوء أن يدور حول الكون تستغرق دورة واحدة مدة مليون الملائين سنة ، و إن هذا النظام الشمسى الذى فيه الأرض هو نظام كبير للغاية و لكن لا حقيقة له بإزاء نظام الكون الواسع ، و قد اكتشف العلم أن هناك بعض الكواكب أكبر من الشمس بكثير ، حتى إن نظام الشمس صغير جداً أمام نظام هذه الكواكب ،

هناك يد جبارة تدير نظام هذا الكون الواسع ، و إن

عظمتها ظاهرة فى كل شىء مثلا الشمس تجذب إليها الأرض بقوتها الهائلة و تحفظها من سقوطها فى الفراغ وانهيارها فيه ، و لو كانت الأرض مربوطة بشئ مادى لئلا تسقط فى الفراغ كانت كرة الأرض مغطاة بالأسلاك الحديدية كما تغطى الحشائش قطعة من الأرض ،

إن الانسان لا يستطيع فى حياته أى حول و طول و إنما هو تحت سلطان لا يقدر عليه شيئاً ، و إنه يعيش تحت نظام كبير لا يقدر على إيجاد هذا النظام بنفسه بل لا يتصور أى مقدرة له فى تصرفات هذا النظام ، كما أنه لا يستطيع أى تصرف فى العمل المقرر للأشياء الموجودة فضلا عن أن يقرر لها منهجاً خاصاً للعمل ، إنه يرى أن القوى الهائلة فى هذا الكون إذا لم تكن ملائمة له لا يستقر على وجه الأرض فضلا عن أن يبنى حياة متمدنية أخرى فى الأرض ،

كل إنسان يلقى نظرة على وجوده الحقير فى هذا الكون يحس بأنه أضعف من النملة التى وقعت فى البحر أمام تيار الأمواج و هى تبذل جهداً فى إنقاذ نفسها من ذلك اليم المخوف ، كذلك الانسان فى خضم الحياة يبحث عما حوله ليمسك بيده إنه يبحث عن شخصية جبارة فائقه على جميع قوات الكون حتى يلوذ فى كنفه و يأمن على نفسه ،

إن هاتين الناحيتين و بعبارة أخرى هاتين العاطفتين هما عنوان هذا البحث ، والبحث عن المعبود فى الحقيقة عاطفة فطرية فى

فى الانسان تعنى أن الانسان دائب فى البحث عن شخصية تتركز فيها ثقته و محبته ، و لكن اليوم فى العصر الحديث حاد بعض الناس عن الصواب و أثاروا مسئلة الوطن والجنس والدولة إقناعاً لهذه العاطفة الفطرية الانسانية فان المدنية الحديثة اليوم ترفع الأمة والوطن والدولة إلى درجة عالية تكون مركزاً لأفكارها و عقائدها و علاقة وثيقة بينها و بين هذه العاطفة الفطرية ،

إن صنم الوطن والجنس والدولة احتل فى المدنية الحديثة محل المعبود و أخذ على مشاعرها و ملك على عواطفها فهى و لو لم تسمه معبوداً و لكنه على كل حال لا يقل عندها من المعبود ، و إن مثله كمثل قطعة حجر قدمتها لمن يحتاج إلى رفيق فى الحياة ،

و من المعلوم أن هذه العاطفة التى تنبعث فى الانسان ترجع إلى أسباب عميقة الجذور فى نفسيته ، لأنه يبحث عن قوة محيطة بالكون كله تفوق جميع القوى والسلطان فى العالم ، و سوف لا يجد الانسان جواباً لهذا الطلب فى أى منطقة جغرافية فان الجغرافية قد تساعدنا فى بناء مجتمع على الأكثر و لن تكون هى جواباً لعاطفة الانسان الفطرية بل إنها تحتاج — كما قلت — إلى قوة مسيطرة على الكون كله ، و إن الانسان يحتاج لتركيز محبته و ثقته إلى شخصية جبارة خلقت السموات والأرض ، و يحتاج لاعتماده و استعانته إلى قوة مهيمنة على الكون ، و مالم يتجح الانسان فى بحثه عن هذا الوجود يعيش عيشة قلقة مضطربة لا يقر لها قرار ،

السيد أحمد الشهيد البريلوى (١)

محمد الحسنى

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع

رجل عظيم حقاً لا يمكن أن ينساه الشعب الهندى و يستهين بقيمته التاريخ الاسلامى بما قام به من أعمال جليلة ، و مآثر خالدة ، و مواقف رائعة فى ميدان الدعوة والجهاد ، ولكن ما هو السر فى عظمته و شموخه و ما هذا الشئ الذى رفع منزلة هذا الشاب بين أعلام الهند ، هل هو العلم ؟ إنه لم يتخرج من مدرسة ، هل هى المجاهدة والرياضة التى أوصلته إلى هذا المكان ؟ لا أبداً ، كان حوله جمع كبير من الصوفية والمشائخ و من يفوقه فى العلم كثيراً ، قد قضوا حياتهم كلها فى المجاهدة ، هل هى الشجاعة والبطولة لقد كان هناك أبطال فى كل ناحية من نواحى الحياة ، أبطال فى الفن ، و أبطال فى الحرب ، قد سبقوا الشيخ ولى الله الدهلوى مع أسرته الدينية الشريفة تخدم العلم والدين ، كان هناك

(١) حديث أذيع من محطة الاذاعة بدهلى فى ١٨ من أبريل ١٩٥٥ م تنشره مع شكر الاذاعة

أئمة فى المنطق والكلام و أئمة فى الشعر و أئمة فى التصوف كان القرآن و كان الحديث ، إذن فما هو سر عبقريته و ما هو مفتاح شخصيته العظيمة ؟ كان القرآن يدرس ككتاب قديم قد مثل دوره و قضى حياته ، جل همهم تأويل الآيات والمناقشة حول المشتبهات ، أما رسالته إلى المسلمين والعالم فلا حديث عنها ولا مكانة لها فى حياتهم ، كان الحديث يدرس فى بعض الأوساط لكنه كان كتاب الفقه والتشريع ، أما غايته الأصيلة وهى إنشاء مجتمع إسلامى نظيف صالح أمين متكافل قوى برئ من كل معانى الشر والعدوان ، متخلق بأخلاق الله فقد نسوها و تناسوها ،

و هذا هو السبب أننا نرى أموراً غير شرعية و بدعات تتسرب إلى بعض البيوتات الدينية العريقة و أوساط العلم والدين فلا يدفعونها و لا يكرهونها و نرى بعض العلماء الكبار قد اختاروا بعض الشعائر غير الاسلامية من غير أن يبحثوا عن حكم الشريعة فيها ذلك بأن فكرتهم — و لا مؤاخذة — قد تفلسفت و تعقدت إنهم نظروا إلى القرآن كمصدر الخير و منبع الحكمة ، أما من ناحية كتاب يأمر و ينهى و يحكم على الحياة و يعطى مبادئ قويمة للفرد والاجتماع و يطلب الكفاح والعمل فى سبيل الله والاسلام ، و لمصلحة الانسانية و سعادتها ، فقد تغافلوا عنها مع أن القرآن قد أنزل للعمل به و تطبيقه على الحياة لا للبحث والتدقيق والرغبة عن دعوته و رسالته إلى البشر ، إنهم لم ينكروا أبداً هذه الناحية المهمة التى هى غاية القرآن و لكن هذه الفكرة التى تأثرت بالفلسفة

والكلام — والهوة بين الفلسفة والحياة معلومة — لم يسمحهم بأن يقرأوا القرآن كأنه ينزل عليهم ،

قام هذا الرجل فى وسط هذا الجو ، و إذن تحققت تلك المعجزة الكبيرة ، كانت البدعات و كان بعض الوهن يوجد فى بيوتات العلم والدين مع المكتبات الضخمة والتآليف النافعة والتفاسير أما فى حياة هذا الشاب فلا يوجد تعقيد و لا التواء و لا ضعف و لا انحراف عن جادة الاسلام مع أنه لم يتعمق فى العلوم و لم يقم بالرياضات الشاقة كما فعل كبار هذا العصر ، أى شئ هذا ؟ إنه أغلق تلك النافذة التى يدخل منها الذباب أما هؤلاء فقد سدوا جميع النوافذ ، أما هذه النافذة التى كانت أحرى بأن تغلق فقد فتحوها ،

كان رجلا عملياً لم تلطخ فكرته بآراء الفلسفة و الكلام و بساطته و سلامة صدره تشبه كثيراً ببساطة هولاء العرب الذين آمنوا بالله و رسوله و بايعوا محمدا صلى الله عليه و سلم ، إنه نظر إلى القرآن ككتاب حياة و حكم و عمل . و كأنه خوطب به شخصياً و كلف بالقيام به و كأنه أنزل فى هذا العصر لا فى عصر قبله يشكو منه أنه مظلوم رغم محبيه و مهجور رغم أصدقائه ، كان هذا هو المفتاح كانت هذه هى العصا السحرية كان هذا هو الاكسير و مثالا لذلك نقول ، قرأتم قصة مصباح علاء الدين ، مصباح علاء الدين ما كان فى حاجة إلى الاضاءة و ما كان فى حاجة إلى أن يوضع فى الطاقات والقصور ، و كان يحتاج إلى مجرد فرك على الأرض حتى يحضر

الجنى ، والقرآن فى ذلك هو المصباح الكامل إنه ليس فى حاجة إلى مجرد بحث و تفكير إنه يحتاج إلى العمل والتنفيذ حتى تنحل الأزمة و تحل المشكلة و يرضى الله و كان ملك هذا المصباح العجيب و عرف سر استخدامه و كان هذا الايمان قد تغلغل فى أحشائه و تملك مشاعره إذا رأى فى القرآن موضع وعيد بكى و إذا مر على وعد استبشر ، إذا رأى آية تحث على العمل والنضال شمر عن ساق الجد ، و إذا رأى آية تحث على العبادة رأه الناس يتعبد فى جوف الليل و يناجى ربه ،

و بهذه الطبيعة العملية التى تنفر عن الكلام الفارغ و بهذا الايمان المتغلغل فى أحشائه المسيطر على ميوله و نزعاته ، و بهذه الصلة الوثيقة بالله نجح فى هذا الميدان الذى تخلف عنه كثير من الناس ، إنه أنشأ جيلا جديداً متحرراً من كل أدواء العصر ، متحرراً فى العمل متحرراً فى الفكر كان جيلا وليداً بريئاً من رواسب العهد الماضى ، إنه أنشأ أمة ضخمة تنتشر فى طول البلاد و عرضها ، أمة نظيفة الجسم والروح ، نظيفة الفكر العمل ، أنشأ مجتمعاً مثالياً فى كل شأن من شئون الحضارة ، أميناً صادقاً متكافلا تسوده روح الرحمة والحب والسلام ،

كان هذا الجيل و هذه الأمة و هذا المجتمع عملياً كقائده يتبع الله و رسوله فى كل ناحية من نواحى الحياة و كان متدفقاً بالايمان والايمان مصدر المعجزات ، و هذا الايمان كان يسهل عليه كل عقبة و يهون عليه كل خطر ،

هذه الحياة الاسلامية التى قد انقطعت منذ زمن طويل قامت من جديد بكل روعتها و جمالها لأنها أنشئت على أساس مكين من الايمان واليقين هما سر القوة فى الأمة الاسلامية ،

حياة هذا الداعية حياة ذات نواح مختلفة تأثيره الفذ فى الناس فى تربيته الحكيمة المتقنة ، إيمانه الراسخ بالغيب ، جهاده فى الاسلام ، اتباعه للسنة كل منها فى حاجة إلى أحاديث متوالية و كتاب جامع ، و لكن الأهم من ذلك هى قوته العملية و إيمانه بالله ، و هذا هو الشئ الوحيد الذى حققت هذه المعجزة الكبرى فى بلاد الهند والمزية الأولى التى تميزه من القادة الآخرين ، إنه عرف أن طبيعة الأمة الاسلامية طبيعة عمليه و الاسلام لا يحب الكلام الفارغ ، و من هذه المواد الخام من البشر الذى يئس منه المصلحون تكونت أمة لم يعرف الناس فى الهند أصلح منها و لا أقوى و لا أنفع للبلاد ، إنه عرف أن الاسلام لا يحتاج إلى المحامين ليدافعوا عنه ، و لا إلى الحكماء ليفسروه و يكشفوا أسراره إنما هو فى حاجة إلى رجال عاملين ،

مضى و لكن خلف عبرة ، مات و لن تموت ذكراه أبداً ، كان منارة ضوء للأجيال القادمة و موضع فخر و غبطة فى البلاد الهندية ،

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

*****

قرأت لك فى هذا الشهر :

الشيوعيون

للأستاذ محمد قطب

يؤمن الشيوعيون بادئ ذى بدء بأن علم النفس كلام فارغ ، لا لأنهم — لا سمح الله — يعتبرونه أضيق من أن يحيط بكل جوانب النفس الانسانية الرحيبة ، و لكن لأنه يقرر أن فى النفس الانسانية نزعات « فطرية » يولد بها الانسان ؛ و هذا يفتح الباب لمن يريد أن يقول إن حب الملكية نزعة فطرية فى البشر أجمعين ! و دون ذلك يصبح كل شئ سخافة من سخافات الرأسماليين !

و لكنهم مع ذلك يحبون فرويد و يؤمنون به . ذلك أنه يشبع شهوتهم فى تحطيم المقدسات كلها ، و تلويثها ، و تصويرها بأنها قيود ابتدعها المجتمع (الاقطاعى ثم الرأسمالى) لحماية ذاته و لكنها ليست فى ذاتها شيئاً يستحق الاعتبار .

فاذا تحطمت المقدسات ، و تلوثت صورتها فى نفس الفرد ، و فى نفس المجتمع نتيجة لذلك ، فقد كسبت الشيوعية نصف المعركة على الأقل ! و هذا هو مصدر الاعجاب الشديد برجل لا يؤمن

بكل ما يؤمنون (١)

و قد أسلفنا أن فرويد قد تأثر فى نظرياته بدارون ، و أنه نقل إلى علم النفس آراء دارون الخاصة بعلم الأحياء . و نذكر هنا أن الشيوعيين كذلك قد تأثروا به فى أكثر من موضع ، حتى لنستطيع أن نقول إنهم نقلوا إلى عالم الاقتصاد و علم الاجتماع تلك الآراء المستمدة من عالم الحيوان ، و كان أشد ما تأثروا به ثلاث نقط رئيسة :

أولها : القول بالطبيعة بدلا من الله ،

و ثانيها : القول بأن الكائنات الحية تتبع فى تطورها خطاً « حتمياً » ينشأ من ضغط البيئة المادية الخارجية على الكائن الحى ، و محاولة الكائنات أن تكيف حياتها مع هذه البيئة . و فى أثناء عملية التطور تنقرض أعضاء أو وظائف معينة لأنها لم تعد تلائم البيئة ، و تنمو بدلا منها أعضاء و وظائف جديدة ، أكثر منها تعقيداً ، و لكن الكائنات الحية لا إرادة لها ، فى هذا التطور و لا قصد و إنما هو مفروض عليها فرضاً من الخارج أرادت أم لم ترد ، و لا تملك هذه الكائنات أن تبطئ به أو تسرع ، أو تحوله عن طريقه ، فالأمر فى ذلك كله متروك (للطبيعة) و قد طبق الشيوعيون هذه النظرة تطبيقاً كاملا على التطور الاقتصادى

(١) من المصادفات العجيبة أن يكون فرويد يهودياً و كارل ماركس كذلك ، و بصرف النظر عن مدى إخلاص كل منهما لمذهبه ، فان الحركة اليهودية لم يفتها أن تستغل نظرياتهما لمصالحها الخاصة .

والاجتماعى ، و زعموا أن ما يصلون إليه من النتائج صحيح ، لأن الأساس الذى يبنون عليه صحيح ،

و ثالثها : النظرة المادية الحيوانية إلى الانسان تلك النظرة التى تنفى الجوانب الروحية والمثل العليا و تؤمن بعالم الجسد وحده ، و بالواقع الذى تدرك الحواس فحسب ، شأنهم فى ذلك شأن بقية أوربا المادية و من هنا كانت الشيوعية هى التطور الأخير للحضارة المادية الأوربية ، و لم تكن شيئاً جديداً كما يريد دعاتها أن يفهموا الناس فى الشرق والغرب ،

صحيح أن أنصار المذهب المادى قد نبذوا المنطق الصورى الذى كان سائداً من قبل والذى ينفى وجود التناقض أو إجتماع الأضداد لأن هذا المنطق لا يستقيم إلا فى عالم ساكن بينما العالم فى حقيقته متحرك دائب الحركة ، فلا يصلح لتفسير حركته إلا المنطق الجدلى (الديالكتى) لأنه يقر بوجود الأضداد والمتناقضات فى وقت واحد و هى التى تؤدى إلى انتقال المجتمع من صورة إلى صورة ، ذلك أن كل نظام يحوى فى طياته من المتناقضات ما يقضى عليه فى النهاية و ينشئ نظاما جديداً بدلا منه ، و هذا النظام الجديد يحوى متناقضات أخرى من نوع أرقى ، تظل تعمل فى كيانه حتى يصير إلى صورة أخرى أرقى من سابقتها و هكذا . . . . فقد أدى اكتشاف الزراعة إلى الرق و ظل الرق نظاماً معمولا به ، طالما كان المجتمع يعيش فى النطاق الذى يصلح له الرق ، و لكن حاجات المجتمع تطورت بعد ذلك بصورة أصبح الرق فيها عائقاً عن التقدم

و هنا تحول المجتمع إلى الاقطاع و ظل الاقطاع يؤدى مهمته حتى تحولت رؤوس الأموال إلى الصناعة فصار الاقطاع عائقاً عن التقدم الرأسمالى لأنه يربط فلاح بالأرض و لا يمنحه حرية الانتقال إلى المدينة ليعمل فى المصنع و هنا عمل المجتمع على التخلص من الاقطاع و هكذا دواليك .

صحيح أنهم استحدثوا هذا التغيير الفلسفى و خرجوا منه فى النهاية بمذهب المادية الجدلية التى اعتنقها كارل ماركس و أقام على أسسها فكرة الشيوعية — و لكنها — جدلية كانت أو غير جدلية مادية على أى حال لا ترتفع عن مدركات الحس و لا تؤمن بالروح بل تعتبر كلما لا يقع فى دائرة الحس خرافة من مخلفات العصور البائدة ، و إلى هنا تتفق النظرية السيكلوجية بين الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى ، لأن أساس الحضارة واحد رغم هذا الاختلاف الظاهرى الملحوظ . و لكن الشيوعية والحق يقال تزيد من عندها زيادة طريفة : هى أن تلك الخرافة البائدة كانت من صنع الاقطاعيين والرأسماليين لتخدير الشعوب و تلهيتها عن الصراع الطبقى . أما هم فيسخرون العالم من الخرافة ، و يعطونه جرعة من العلاج الصحيح ، من « العلم » الذى لا يرقى إليه الشك و لا يتطاول إليه الجدل ، ذلك هو : التفسير المادى للتاريخ !

يقول المذهب المادى : إن الانسان هو القوة الفعالة فى هذا الوجود ، و تلك جملة براقة قد توحى بأن أنصار هذا المذهب يؤمنون بالانسان ، و بالانسانية فى صورها الرفيعة النبيلة ، الانسان

فى مجموعه بما فيه من جسد و عقل و روح و لكن الحق أنهم عند ما يقولون ذلك يقصدون فقط أن الانسان وحده لا شريك له هو المسيطر على الأرض ، أى أن وجود إله مسيطر على الخلق عالم بوجودهم ، مدبر لشئونهم ، لغاية يريدها ، هذا كله خارج من حسابهم و ليس له وجود فى مشاعرهم و لا أفكارهم ، فهم لا يؤمنون بالانسان ليرفعوا من شأنه ، و لكن لينفوا فقط تدخل الاله فى شئون الخلق ، أما إيمانهم بالانسان فعلى أساس أنه « مادة » إن الوحدة الحقيقية للعالم تنحصر فى ماديته و لكن إذا سألنا : و إذن ما هو الفكر و ما هو الشعور و من أين ينبعثان ، يتضح لنا أنهما نتاج الدماغ البشرى ، و أن الانسان نفسه نتاج الطبيعة « إن الأفكار يبتدعها دماغ الانسان و هذا الدماغ ليس إلا « مادة » (١) دقيقة التركيب ، و هو جزء من الجسم يعكس مؤثرات العالم الخارجى (٢)

فهم إذن لا يؤمنون إلا بالجانب المادى من الانسان ، والعقل فى نظرهم أداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية ثم تتأثر بها ، و لكن هو فى ذاته ليس حقيقة فعالة موثرة مريدة ،

و يقول ماركس : « فى الانتاج الاجتماعى الذى يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها ، و هى مستقلة

(١) إذا كان العقل مادة ، فان الفكرة فى ذاتها ليست مادة ، لأنها لا تتحدد بحدود الزمان والمكان ،

(٢) الأستاذ عبدالفتاح إبراهيم ، دراسات فى الاجتماع ص ٦٨

عن إرادتهم و علاقات الانتاج تطابق مرحلة محدودة من تطور قواهم المادية فى الانتاج والمجموع الكلى بهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادى للمجتمع ، و هو الأساس الحقيقى الذى تقوم عليه النظم القانونية والسياسية ، والتى تطابقها أشكال محدودة من الوعى الاجتماعى . فأسلوب الانتاج فى الحياة المادية هو الذى يعين لصبغة العامة للعملية الاجتماعية والسياسية والمعنوية فى الحياة ، ليس شعور الناس هو الذى يعين وجودهم ، بل إن وجودهم هو الذى يعين مشاعرهم (٣)

و يقول فردريك إنجليز : تبدء النظرية المادية من المبدأ الآتى وهو أن الانتاج و ما يصحبه من تبادل المنتجات هو الأساس الذى يقوم عليه كل نظام اجتماعى ، فحسب هذه النظرية نجد أن الأسباب النهائية لكافة التغييرات والتحولات الأساسية ، يجب البحث عنها لا فى عقول الناس أو فى سعيهم وراء الحق والعدل الأزلين و إنما فى التغييرات التى تطرأ على أسلوب الانتاج والتبادل و إذن فعلينا ألا نبحث عن هذه الأسباب فى الفلسفة و إنما فى اقتصاديات العصر الذى نعنيه » (٤)

من هذه المقتطفات تتضح لنا الحقائق الأساسية للمذهب المادى فالحق والعدل الأزليان ليسا فى ذاتهما قيمة موضوعية ، و لا هما

(٣) ترجمة الأستاذ عبدالفتاح إبراهيم ،

(٤) ترجمة الدكتور راشد البراوى ، النظام الاشتراكى ص ١٢٠

جديران بأن يسعى وراءهما الانسان و مثلهما بطبيعة الحال كل ما يتصل بهما من نبوات و عقائد و مشاعر دينية أو فنية ، و إنما الحقيقة الواحدة الأزلية هى الاقتصاد و هكذا ينفون أثر الدوافع النفسية الأصيلة فضلا عن الدوافع الروحية و هم لا ينفون وجودها فى الجدل النظرى و لكنهم يقولون إنها ليست شيئاً قائماً بنفسه و صادرا بصورة تلقائية من الكيان البشرى ذاته و إنما هى نتائج للأحوال الاقتصادية و تلك هى القوة الوحيدة القائمة بذاتها خارجة عن نطاق الانسان و مؤثرة فيه من الخارج ،

فالأخلاق ليست حقيقة موضوعية و لا قيمة ذاتية إنما هى نتيجة التفاعلات الاقتصادية فى المجتمع فاذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الأخلاقية و ليس هناك مقياس ثابت تقاس الأمور والدين — أفيون الشعب — شئ ابتدعه الاقطاعيون والرأسماليون لتخدير الشعوب و شغلها عن صراعها الطبقى و ليس شيئاً سماوياً و لا حاجة سيكلوجية نبعت من ضمير الفرد حتى فى المجتمع الأول الذى لم يكن فيه — باعترافهم — سيد و لا مسود لأن وسائل الغذاء كانت مباحة للجميع لكل بقدر ما يريد ! والمثل العليا — سخرية الشيوعيين — هى أوهام الجائعين والمحرومين الذين حرقتهم الأحوال الاقتصادية من حاجاتهم فراحوا يحلمون بها ، فهى إذن نتاج منا بالمجتمع لم ينشأ إلا من سوء الأحوال الاقتصادية و ليست حلماً للبشرية تطوعت به منذ طفولتها قبل أن تفرضها عليها تطورات الاقتصاد والأسرة مصلحة اقتصادية نشأت من

اعتماد المرأة فى غذائها و إعالتها على الرجل الذى يملك وسائل الانتاج و يفرض على المرأة تبعاً لذلك أن تكون له وحده دون شريك و لكنها ليست حاجة نفسية متأصلة فى نفس الرجل والمرأة على السواء . . . الخ ،

وكل شئ إذن هو انعكاس للحقيقة الموضوعية الوحيدة فى هذا الكون و هى العامل الاقتصادى والاقتصاد ليس صادراً عن إرادة الانسان ، و إنما هو كما يقول كارل ماركس خارج عن إرادته و له قوانينه الموضوعية الخاصة التى ليس للانسان إزاءها حول و لا طول فهى تسير إلى غايتها المحتومة و تؤثر فى الانسان فى أثناء تطورها و لكن الانسان لا يؤثر فى قيامها و إنما خلقتها « الطبيعة » أم الانسان !

و قد أسلفنا القول فى فصل فريد عن الأسباب العاطفية — لا العلمية — التى أدت بالأوربيين إلى اعتناق فكرة الطبيعة و نبذ فكرة الله رغم ما فى ذلك من مغالطة مكشوفة و لكننا ندع هذا الآن و ننظر فى « حقائق » المذهب المادى لنرى كم فيها من المغالطات ،

فأول ما يتبادر إلى الذهن من أخطاء هذا المذهب هو إيمانه بالجبرية الاقتصادية الكاملة التى لا إختيار للانسان أمامها و لا فكاك له من تأثيرها عليه ،

« وسائل الانتاج تكيف المجتمع » « ليس شعور الانسان هو الذى يعين وجوده و لكن وجوده هو الذى يعين شعوره »

هكذا يقول كارل ماركس ، فيؤكد أن المشاعر تجئ دائماً لاحقة للعوامل الاقتصادية متأثرة بها و لكنها لا تكون أبداً سابقة عليها أو مؤثرة فيها و ما نريد أن ننكر أهمية الاقتصاد ولا سيطرته على المشاعر البشرية فنحن نؤمن بأهميته البالغة كمقوم من مقومات الحياة الأساسية و لكنا نريد فقط أن ننفى جبريته و أنه العامل الوحيد المسيطر على دنيا البشر ،

و أقرب ما يرد به على الزعم القائل بأن وسائل الانتاج فى أمريكا الرأسمالية هى نفسها وسائل الانتاج فى روسيا الشيوعية ، و مع ذلك فان استخدامها فى روسيا لم يفرض عليها أن تكون رأسمالية ! بل إنها لم تبدأ فى استخدام هذه الوسائل على أوسع نطاق إلا بعد أن تحولت إلى الشيوعية ! فليس أسلوب الانتاج إذن قوة جبرية تشل حركات الانسان و تخضعه لسلطانها القاهر ، بدليل أن روسيا قد تصرفت تصرفاً حراً فى أسلوب التوزيع و فى أهداف العمل ، على الطريقة التى رسمتها لنفسها ، و لم تجد نفسها مجبرة إزاء هذا الأسلوب الانتاجى على اتخاذ طريق واحد لا فكاك منه . كما تصرفت دولة أخرى كانجلترا إزاء الحالة نفسها تصرفاً آخر وكان تصرف هذه و تلك ناشئاً عن « شعور » معين أو « عقيدة » سابقة فى وجودها للتنظيم الاقتصادى ، مؤثرة فيه ، منظمة لطرائقه و أهدافه . فاذا قيل : إن هذا الشعور هو بدوره نتيجة للظروف الاقتصادية السابقة لها ، سواء فى روسيا أو انجلترا فهذا لا ينفى الاختيار الحر إزاء هذه الظروف . بل إن كارل ماركس

— حسب إيمانه بجبرية الاقتصاد — كان يعتقد أن الشيوعية ستقوم فى انجلترا أولا ، ثم تنتشر منها إلى بقية العالم الأوربى بعد ذلك ، فجاءت الوقائع مخيبة لأفكاره إذ بدأت فى روسيا التى لم تكن قد استكملت نموها الرأسمالى ، و تأخرت فى انجلترا إلى هذه اللحظة (بصرف النظر عن المستقبل) ، رغم وصولها فى النمو الاقتصادى الرأسمالى ، إلى المرحلة التى كانت تحتم عليها — حسب الجبرية الأقتصادية المزعومة — أن تكون أول من يقع فريسة للشيوعية !

و وسائل الانتاج الحديثة لا تفرض علينا نحن مثلا حين نستخدمها ، أن نخرج من إسلامنا و نصبح رأسماليين كالأمريكان أو إشتراكيين كالانجليز ، أو شيوعيين كالروس ، إذا آمنا حقاً بهذا الدين ، و فهمناه على أصوله الكبرى التى فهمها محمد و أبوبكر و عمر و هى مختلفة فى أساسها عن هذه النظم جميعاً ، و مستقلة عنها ، و إن التقت معها أحياناً فى بعض التفصيلات .

أجل لا نحتاج أن نخرج من إسلامنا لنصبح شيئاً من هذه الأشياء ، كنتيجة حتمية لاستخدام وسائل معينة الانتاج لأن علاقات الانتاج ليست خارجة عن إرادة الانسان كما يزعم كارل ماركس ، و قد رأينا من الواقع المشهود أن ذلك غير صحيح .

و إنما يذيع الماديون أفكارهم القائمة على جبرية الاقتصاد ليوحوا إلى الناس فى كل مكان أن الشيوعية هى مصيرهم المحتوم ، بعدت الشقة أو قربت ، فعليهم أن يستسلموا لها و لا يعملوا على

مقاومتها ! و قد يكون هذا صحيحاً فى أوربا ، أو فى العالم الذى غلبت أوربا عليه . لا لجبرية الاقتصاد ، و لكن لأن الحياة الأوربية أو الغربية عامة ، قائمة كلها على أساس مادى بحت . لا ينتج إلا الشيوعية فى آخر المطاف ! أما حين توجد فكرة أخرى عن الحياة والكون أوسع و أرقى ، فلن تقف فى سبيلها وسيلة من الوسائل والانتاج ، لأنها هى التى ستخضع لها كل كيان الدولة الاقتصادى والاجتماعى والفكرى على السواء . و قد رأينا أن مجال الاختيار مفتوح فى النطاق الصغير ، رغم اتحاد الأساس الفكرى والفلسفى بين روسيا و انجلترا و أمريكا . فأولى به أن يكون أوسع و أعم حين يختلف هذا الأساس .

فالشهوة المذهبية وحدها هى التى تذيع هذه الأفكار لغاية مرسومة : فلا ينبغى أن تؤخذ على أنها حقائق علمية موضوعية !

****

و هم يقولون : إن الرأسمالية تجنح إلى استغلال العمال لاستخلاص أكبر ربح ممكن لا عن قصد من الرأسماليين و لا سوء نية (؟ ؛) و إنما لأن هذه صفة كامنة فى طبيعة رأس المال (١) !

فما السند العلمى لهذه الدعوى العجيبة ؟ !

لا يوجد لها من سند إلا تلازم هذا الجشع من النظام

(١) الدكتور راشد البراوى . النظام الاشتراكى ص ١٢٩ .

الرأسمالى فى أوربا ، و فى العالم الذى غلبت أوربا عليه . و لكن هذا لا ينفى أن الجشع « شعور » صادر من النفس لا من طبيعة رأس المال ، حتى و إن كان ملازماً له على الدوام . و ليس معنى هذا أننا نؤمن بالجبرية النفسية فى هذا المجال . و إنما نريد فقط أن نرد الأشياء إلى أصلها النفسى ، و هو مصدرها الطبيعى . و قد كان هذا الجشع موجوداً فى مشاعر الرومان ، أسلاف الأوربيين الحاليين ، فى عهد الرق و عهد الاقطاع ، وكانوا يستبعدون به غيرهم من الأمم والشعوب . فهو ليس متولداً من التطور الرأسمالى و لا نابعاً منه .

و إنما يقول الشيوعيون : إنه صفة كامنة فى طبيعة رأس المال ، و إنه لا يجوز الحكم عليه حكماً أخلاقياً ، لأنه عمل حتمى كأكل القطة للفأر ! يقولون ذلك ليصرفوا الأمل عن انتظار الخير والرحمة من الرأسماليين ، و ليدعوا إلى تحطيم نظامهم بالقوة والعنف .

و نحن أيضاً لا نؤمن بأن الخير يمكن أن يصدر عن النظام الرأسمالى ، لا لأن له جبرية على المشاعر ، و لكن لأنه لا يمكن أن يقوم من الأصل فى ظل مشاعر نظيفة مترفعة ، مؤمنة بحقوق الانسان . فالواقع أن النظام الرأسمالى تابع فى وجوده لمشاعر أنانية غير نظيفة لا أن هذه المشاعر نابعة من هذا النظام !

والشهوة المذهبية وحدها هى التى تقول هذا الكلام العجيب الذى لا يعرف العلم من بعيد و لا قريب !

* * * *

و هم يقولون : إن إحدى وسائل التضخم الرأسمالى هى إنتاج وسائل الترف على نطاق واسع . هذا صحيح . و لسنا هنا بصدد الدفاع عن الترف أو عن الرأسمالية ، فكلاهما حرام فى نظر الاسلام (١) ؛ و لكننا نتناول المسألة من الناحية السيكلوجية لأنها ذات دلالة كبيرة فى هذا البحث . فانتاج وسائل الترف ليس هو الذى ينشئ رغبة الترف فى النفوس ! و لو لا أن فى النفس الانسانية استعداداً طبيعياً كامناً للملل من الأشياء القديمة أو التى أصبحت معتادة ، والسعى إلى شئ جديد أو نمط جديد ، لما استطاعت الرأسمالية أن تصرف بضائعها المستحدثة على نطاق واسع . فكل حالة اقتصادية أو نتاج اقتصادى له رصيد مقابل فى النفس الانسانية ، سابق على وجوده . و كل ما يصنعه الاقتصاد هو أن يلبى هذه الحاجات البشرية الكامنة . وليس ينفى هذا بطبيعة الحال أن المنتجات الحديثة « تكيف » المشاعر بطريقة خاصة ، و أن هذا التكيف ينشئ صوراً جديدة من الأفكار والمشاعر لم تكن موجودة من قبل . هذا مسلم به . و لكن الذى نريد أن نؤكده ، هو أن الأصول النفسية لهذه المشاعر موجودة فى النفس الانسانية من قبل ظهور هذه المنتجات . و أن هناك فرقاً كبيراً بين تكييف المشاعر الموجودة فعلا ، كامنة أو غير كامنة ، و بين إنشاء

(١) تحدثنا عن رأى الاسلام فى الرأسمالية فى كتاب « شبهات حول الاسلام »

هذه المشاعر دون أن يكون لها وجود سابق فى داخل النفس . فليس اختراع الطائرة هو الذى أنشأ الرغبة فى الطيران . و إنما هذه الرغبة — و هى حلم بشرى قديم ، بدأ مع طفوليته البشرية و تدرج معها ، حتى حاول بعض الأناسى أن يركبوا لأنفسهم أجنحة من الريش و يجربوا الطيران بها كالطيور ! — هذه الرغبة هى التى حققها العلم بعد ذلك فى صورة طائرة ! صحيح أن اختراع الطائرة قد أحدث تطورات هائلة فى علاقات الناس و مشاعرهم . و لكن هذا لا ينفى أن الرغبة النفسية هى الأصل .

و هم أنفسهم يقولون : إن الأسرة كانت قائمة فى أول عهدها على أساس سيطرة الأم . فكان الميراث ينتقل من الرجل إلى إخوته و اخواته لا إلى أولاده . فلما ملك الرجل وسائل الانتاج وحده ، حول الأسرة إلى نظام سيطرة الأب ، حتى يتمكن من نقل ما يملكه إلى أولاده . فلماذا يا ترى حدث ذلك ؟ هل ملكية وسائل الانتاج هى التى غيرت مشاعر الأب فجعلته يحب أولاده يؤثرهم بالخير ، و لم يكن يحبهم من قبل ؟ أم إن هذا الحب سابق فى وجوده للتطور الاقتصادى ، و كان ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه ؟

تلك مسائل نحسبها من البداهة بحيث لا تحتمل المناقشة فالانسان يولد و فيه على الأقل هذان الأصلان الكبيران : حب الحياة ، ثم الرغبة الجنسية ، حين يجئ موعدها المحدود . هاتان على الأقل رغبتان لا تنشآن من الحالة الاقتصادية ، ظالمة كانت أو غير ظالمة ، فكل مخلوق يوجد فى أى نوع من أنواع

المجتمعات يتشبث بالحياة و لا يتركها إلا كارهاً (١) ؛ و يحس بالرغبة الجنسية على نحو من الأنحاء . و كل ما تصنعه الحياة المادية والظروف الاقتصادية ، هو أن « تكيف » الصورة التى يحيا بها الانسان ، فيعيش فى قصر أو يعيش فى كوخ ؛ والصورة التى يقضى بها حاجة الجنسية ، فيقضيها فى الشارع أو فى المنزل أو فى الغابة . و لكن هذه الظروف ليست هى التى « تنشئ » هذه الرغبة أو تلك ، من أصل غير موجود فى النفس .

هذه بديهية . و إنما ينفيها الماديون لأنهم لو أقروا بها فسينفتح المجال لمن يريد أن يقول : إن حب الملكية والاقتناء أصل من أصول الأصول النفسية ، السابقة فى وجودها على الحالات الاقتصادية المختلفة . و هم يريدون أن يقفلوا الطريق أمام هذه الدعوى سواءً كانت صادقة أو كاذبة (٢) فينفون منذ البدء أن النفس الانسانية هى الأصل ، و أن الظروف المادية والاقتصادية تكيف المشاعر و لكنها لا تنشئها من العدم ، و أن شعور الانسان هو الذى يعين وجوده بالتفاعل مع الظروف المادية الخارجية .

فالشهوة المذهبية إذن هى التى تنكر هذه الحقائق البديهية ، و إن كانت تتمسح بالعلم و قضاياه .

* * * *

على أن الكارثة العظمى فى المذهب المادى هى تحديد مطالب

(١) إلا أن تستولى على نفسه عقيدة أكبر من نفسه و من حياته الفردية .

(٢) انظر فصل « الاسلام والملكية الفردية » فى كتاب « شبهات حول الاسلام »

الانسان بالغذاء والكساء والاشباع الجنسى (١) و إهمال الأمور الأخرى كلها — و أخصها العقيدة — باعتبارها أشياء ثانوية غير مهمة ، لا يضير الدولة أو أى نظام إجتماعى أن لا يلتفت إليها ، إذا هو قام بتحقيق تلك المطالب « الأساسية » .

و ما يجادل أحد فى أن هذه ضرورات لا تتيسر بدونها الحياة ، و أن كل نظام يهملها ، أو لا يعطها حقها من الرعاية والجهد نظام فاسد فاشل ، و مهما كانت « المعنويات » التى تقوم فى رؤوس أفراده . لأن المعنويات ليست شيئاً مقصوداً لذاته . و إنما المقصود منها تنظيم الحياة فى الأرض على صورة أفضل و أرفع فاذا لم تؤد مهمتها تلك على صورة من الصور ، لأفراده المجتمع والأجيال الانسانية ، فهى لا تستحق أن توجد أن تعيش . . .

و لكن تحديد مطالب الانسان بمطالب جسده فحسب هو من الناحية الأخرى نقص شائن ، و هبوط بالانسان من عليائه إلى مستوى الضرورة و إلى حظيرة الحيوان .

و إذا كانت حاجات الجسد هى أول ما يصرخ فى طلب الاشباع فليس معنى ذلك أن الانسان كله ينتهى عند هذه المطالب ، أو أنها وحدها الجديرة بالاشباع و كل نظام أو فكرة عالية لا يجعل همه إلا حاجات الجسد القريبة هو نظام فاسد ، مهما كانت دقة تنظيمه ، و مهما كانت العدالة المادية أو الاقتصادية التى ينشرها

(١) هذه هى المطالب التى حددها كارل ماركس فى « المينفستو »

بين الكادحين أو غير الكادحين .

إن الانسان لأوسع من هذه الحدود الضيقة التى يريد الماديون إن يحسبوها فى داخلها ، و إن كل ما وجد على ظهر الأرض فى الميدان المادى والفكرى والشعورى لهو نتاج إنسانى أصيل ، و تعبير عن حاجة نفسية أصيلة ، الفن والعقيدة والمثل العليا و أحلام البطولة و سبحات الروح ، والسيارة الفاخرة والطائرة المنطلقة فى الفضاء والمدفع والمصنع و إنتاج الغذاء والكساء . . كلها سواء و ليس اختراع الآلة والوصول إلى الانتاج الكبير أعظم فى طبيعته و لا دلالته من الوصول إلى العقيدة والاهتداء إلى الله ، كل منهما دليل على عظمة المخلوق البشرى وارتفاعه عن مستوى الحيوان ، بل الاهتداء إلى الله أعظم فى دلالته على رفعة الانسان و اشراق روحه ، واتساع آفاقه أن تنحصر كالحيوان فى عالم المادة أو مدركات الحواس .

والنظام الأوفى هو الذى يأخذ الانسان فى مجموعه لا يهمل مطالب جسده و لا ينكر مطالب روحه أو يدعها تنبت نباتاً « شيطانياً » كيفما اتفق ، بحجة أنها ليست من ضرورات الحياة .

و هم يقولون أن المجتمع لن تستقيم أوضاعه إلا إذا بنى على أساس اقتصادى مكين . و هذا صحيح لا جدال فيه ، و لكنه لا يحمل الدلالة التى يريدون أن يحملوها إياه . و كل ما يعنيه هو أنك إذا أردت أن تقيم بناية جميلة فعليك أن توطد الأساس . و إلا تصدع البناء مهما كان فيه من ابداع و فن دقيق و لكن أية

حماقة تلك التى تقول : ما علينا إلا أن نبنى الأساس المتين و سوف يتم البناء من تلقاء نفسه بعد حين ،

إن إقامة الأسس الاقتصادية الصحيحة ليست غاية فى ذاتها كما يفهم الشيوعيون فى بلاهة و قصر نظر ، إنما هى وسيلة لاقامة المجتمع على أسس إنسانية رفيعة و كل مهمتها أن تهيء الجو الصالح للارتفاع الخلقى والفكرى والروحى والانسانى بصفة عامة ، و لكنها لا تؤدى إلى ذلك بطريقة آلية ، و بغير جهد إيجابى يبذل فى رفع الأرواح والنفوس فاذا كان النظام الشيوعى ينتهى فى فكر أصحابه عند مطالب الجسد أو إقامة حكومة عالمية على هذا الأساس ، فهو يحدد حدوده بنفسه و ينتهى بها إلى الفناء ذات يوم قريب أو بعيد .

من كتاب ،

« الانسان بين المادية والاسلام »

كيف نفسر كلمة الله فى القرآن ؟

للاستاذ محمد أويس النكرامى الندوى

« لقد كان من الواجب أن نقدم هذه المقالة فى أول صفحات المجلة و لكنها تأخرت فى الوصول إلينا فوضعناها فى هذا المكان ، والمقالة قيمة علية نرجو أن ينتفع بها قراؤنا » « التحرير »

إن النصارى لما يصفون المسيح عليه السلام بكلمة الله فانهم يصفونه بها تحت عقيدة خاصة و هى أنهم يعتقدون أن الله مركب من ثلاث صفات و يسمونها « الأقانيم الثلاثة » اقنوم الوجود ، اقنوم الحياة ، اقنوم العلم ، و يقولون إن اقنوم العلم هوكلام الله و إنه اتحد مع جسم المسيح وكذلك أصبح اللاهوت ناسوتاً و ثبتت فلسفة الثلاث واحد الواحد ثلاث (١) ثم تفرقت النصارى فى ذلك إلى طوائف شتى و سلكت مسالك متعددة فقال اليعقوبيون أن المسيح هو الله بعينه و قال الملكانيون إنه إجتمعت فى المسيح شخصية الله و شخصية الانسان فى وقت واحد و ولد الله و الانسان معاً من بطن مريم ، والنسطوريين أيضاً مع هؤلاء إلا فى هذه النقطة الأخيرة أن الله ولد من مريم (٢)

و هنا طائفة أخرى تؤمن بألوهية الأقانيم الثلاثة ، جاء فى القرآن الكريم ، « و كلمته ألقاها إلى مريم » و فى موضع آخر يقول عن المسيح إنه كلمة من الله فظن النصارى بهذا التعبير أنه يحمل نفس المدلول الذى يفهمونه و سنحاول فى هذا المقال أن نرد على

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ (٢) الجواب الصحيح لابن تيمية ج ١

هذا الظن الخاطئ الذى وقع فيه هؤلاء ،

كلمة الله و فتنة خلق القرآن :

لقد حاولت النصارى فى كل زمان أن يخدعوا المسلمين بهذه الكلمة و ذلك التعبير ، و تجلى ذلك واضحاً فى فتنة خلق القرآن فى العهد العباسى ، و خلاصته أن أهل السنة كانوا يعتقدون أن كلام الله غير مخلوق فكانت النصارى يقولون لهم أنه إذا كان كلام الله غير مخلوق كما تعتقدون فان المسيح غير مخلوق كذلك لأنه كلمة الله و إننى أرى أن اصرار طائفة من المسلمين و الحاحهم لاثبات القرآن مخلوقا كان من أجل تفادى اعتراضات النصارى و مؤاخذاتهم ،

و من المصادفة العجيبة أن النصارى حينما كانوا يستدلون بكلمة الله على أن المسيح غير مخلوق كان الجهمية يستدلون بها على أن القرآن مخلوق بحجة أن القرآن سمى المسيح كلمة الله و لما أن المسيح مخلوق فقد ثبت من ذلك أن القرآن مخلوق أيضاً (١)

إن الامام أحمد بن حنبل قد رد على أقوال الجهمية والنصارى معاً ، و هو يقول فى ذلك « لكن المعنى فى قول الله إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ، فالكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال كن وكان عيسى بكن و ليس عيسى هو كن و لكن بكن كان. فكن من قول الله و ليس كن مخلوقاً ، و كذبت النصارى والجهمية على الله تعالى فى أمر عيسى و ذلك أن الجهمية قالوا روح الله و

(١) كتاب الرد على الجهمية للامام أحمد بن حنبل ص ٢١٨ حاشية جامع البيان فى تفسير القرآن للشيخ السيد معين الدين بن الشيخ صفى الدين

كلمته إلا أن كلمته مخلوقة ، قالت النصارى عيسى روح من ذات الله كما يقال إن هذا الخرقة من الثوب ، قلنا نحن أن عيسى بالكلمة كان و ليس هو الكلمة و إنما الكلمة قول الله و روح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله « و سخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه » يقول من أمره و تفسير روح الله و إنما معناه روح بكلمة الله خلقها كما يقال عبدالله و سماء الله و أرض الله (١)

مفهوم لفظ « الكلمة » فى القرآن

إن القرآن استعمل لفظ « الكلمة للمسيح عليه السلام فى ثلاثة مواضع ،

فقال فى سورة آل عمران :

« إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله »

و قال فى سورة النساء يرد على زعم النصارى بأن المسيح بن الله :

« إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمة ألقاها إلى مريم »

و جاء فى آل عمران :

« إن الله يبشرك بكلمة منه »

إنك ترى أن القرآن وصف المسيح فى بعض المواضع بأنه كلمة الله و فى مواضع أخرى بأنه كلمة منه فهل إنه يصدق بذلك ما تقوله النصارى ؟ كلا ، بل إن النصارى الذين أخذوا مدلولا خاصاً بهذه الكلمة بغير سلطان أتاهم كانوا مأخوذين فى ذلك بفلاسفة مصر

(١) الرد على الجهمية ص ٢١٩

واليونان و هراتهم و هذا المدلول يعارض التوحيد معارضة تامة ،
و لذلك نرى أن القرآن يهدم أسس هذه العقائد الباطلة .
فتراه يقول للمعقوبيين :

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ،

و يقول للنسطوريين والملكانيين :

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ،

و قال يرد على أهل التثليث عامة ،

إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمة ألقاها إلى مريم
و روح منه فآمنوا بالله و رسوله و لا تقولوا ثلاثة .

كيف نشأ هذا المفهوم عند النصارى ؟

إن جميع هذه العقائد الباطلة والأفكار الزائفة التى نشأت فى النصارى سببها واحد كما يقول ابن قيم فى كتابه « إغاثة اللهفان » فانه يرى أن النصارى لما فقدوا حقيقة دينهم و شوهوا وجهه و أرادوا أن يميل إليهم أصحاب الفلسفات الأخرى والأديان الأخرى رضوا بتسامح و مرونة فى هذا الدين حتى يسهل قبوله لكل طائفة و لكل نوع من الرجال و لما رأوا أهل الفلسفة و هم يقولون بوحدة العقل والعاقل والمعقول قلدوهم و وضعوا نظرية الله والابن و روح القدس .

إن هذه الاشارة من الحافظ بن قيم لكفيلة لكشف الحجاب عن التوجيه التاريخى لهذه الكلمة و لهذا المدلول فكما أن أهل الأديان الأخرى يعتقدون بوجود وسائط بين العبد و ربه

من الملائكة والأرواح و يؤمنون بأن هؤلاء يدبرون نظام هذا الكون حسب أوامر الله و تعليماته ، كذلك هذه الفكرة توجد فى الفلسفة و قد خدعت بذلك أهل الأديان الأخرى خلاف المسلمين ،

فالصابئ يظن النجوم وسائط والمجوسى يسميه « امشاسپند » اليهود يقولون له « كروبيم » النصارى يعبرونه بجبريل و روح القدس ، الهنود يدعون هذه الوسائط آلهة والعرب فى الجاهلية كانوا يعبرون عنه بينات الله حتى الفلسفة المصرية الأسكندرية لم تخل من هذه الفكرة فهى تؤمن بالعقول العشرة والنفوس ذوات الارادة فى السماوات التسع كما يزعمون .

يقول ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » أن آية « و قالت اليهود عزير بن الله و قالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » إنه يقول أن المراد من « قول الذين كفروا من قبلى » هم هؤلاء الفلاسفة الذين كان يوجد عندهم هذه الفكرة ،

فقد نرى أن الفلسفة اليونانية الأصيلة قررت وجود « لوغوس » الذى جعله الله — فى زعمهم — وسيلة لخلق هذا العالم ، و يعبرونه أحياناً بالعقل الأول و لما أن النصارى كانوا يحبون أن يمهدوا الطريق لأهل الفلسفة للدخول فى دينهم و اعتناق مذهبهم فلم يلبثوا إلا أن استعاروا هذه الفكرة « فكرة لوغوس » و طبقوها على المسيح فما كانت النتيجة إلا أنهم ضلوا أكثر من قبل و ظلوا يتيهون فى الظلمات إلى يومنا هذا ،

إن عيسى عليه السلام كان عبدالله و رسوله و لكن النصارى في هوسهم و حيرتهم حاولوا أن يحلوه محل « العقل الأول » فجعلوه وسيطاً بين العبد والرب حيناً ، و جعلوه رباً حيناً آخر ، و ظنوا بعض الأحيان أنه يحمل صفتين معاً ، صفة الرب و صفة الوسيط ،

و لكن من هو لوغوس في الفلسفة و ما هي أوصافه ؟

يقول الدكتور وليام نيسال :

« لفهم هذا الشئ أن الله كيف يعمل و كيف يدبر هذا الكون و يدير نظامه و هو وراء هذا العالم و خارجه أقام قائلو (١) معروضة لم يكن الناس يعرفونها في ذلك الوقت و لم يقدم هذه المعروضة بهذا التفصيل قبل فلاطونس ، هذه المعروضة كانت تقول إنه يوجد هناك وسائط بين الله و بين هذا العالم ، إنه أخذ هذه النظرية من تلك العقائد المنتشرة بين الناس عن الملائكة والجن ، و آراء أفلاطون في الروح ، و نظرية الرواقيين أن وجود الله أخرج من نفسه افراحات روحية دخلت في أعماق العالم و عروقه ، إنه يسمي هذه الوسائط ملكات و من جهة يسميها « الصفات الالهية والأفكار الالهية » التي هي أجزاء العقل الكل والقوة المطلقة و من جهة أخرى يسميه عباد الله و يسميها الأرواح والملائكة والجن الذين يعملون بأمر ربهم .

(١) يقول الدكتور توفيق صدقي في كتابه « نظرة في كتب العهد الجديد أن قائلو كان يشي كثيراً على سابقه الفلسفي زينو و كان زينو متحمساً لعقيدة لوغوس ،

و لم يكن من الممكن له أن يوفق بين هذه الآراء المتباينة و يجيب على سؤال هل هذه الطاقات تحمل طابعاً شخصياً أم لا ؟ فقال إن هذه الطاقات تجمعت في نفس واحدة هي نفس لوغوس فلوغوس إذن هو الوسيط المطلق بين العالم والله منبع جميع التصورات هو عقل الله و حكمته و محيط لجميع القوى المبعثرة في الكون و هو أعظم الملائكة و أول ابن من أبناء الله بل نستطيع أن ندعوه بالله الثاني و أن لوغوس أو « الكلمة » هو النموذج الحقيقي لهذا الكون ، إنه لبس هذا الكون كما يلبس الرجل ثيابه (١)

هذا هو لوغوس الذي ظهر في انجيل يوحنا في هذه الصورة كان كلاماً بادئ الأمر ، و كان الكلام مع الله ، وجدت جميع الأشياء منه ، و لم يكن هناك شيئاً موجوداً وجد من غيره .

إن النصارى لما حاولوا أن يضاوا المسلمين قدموا هذا التصور تصور لوغوس في تعبير « كلمة الله » في أمل أنهم يجدون أمثال ابن كلاب من يميل إليهم ، و هذا هو تاريخ هذه الكلمة والعوامل التي كانت من ورائها .

ماذا أريد في القرآن بكلمة الله

ما هي المعاني التي استعمل القرآن كلمة الله فيها ، انه استعمل « الكلمة » في معنى القول الكامل واستعمله في بعض المواضع لمجرد « الكلام »

فقد جاء في القرآن المجيد ، (و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا

ما لهم به من علم كبرت كلمة تخرج من أفواههم (الكهف) فاطلق فى الآية المذكورة لفظ « كلمة » على قول الكفار « اتخذ الله ولدا » و جاء فى موضع آخر (قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ،

فأطلق فى الآية المذكورة لفظ « الكلمة » على جملة (أن لا نعبد إلا الله الخ) و جاء فى آية أخرى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها) فأطلق الكلمة على قول واحد منهم (رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت) ،

أما المراد الثانى من لفظ الكلمة فى القرآن فهو الأمر المقطوع به أو الأمر الذى كتبه الله و قضى به من لدنه و تشهد بذلك الآيات القادمة ،

(لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون و إن جندنا لهم الغالبون » (الصافات) تدل الآية على أن نصرة المسلمين و غلبة جنود الله كلها مقطوع بها من قبل و واقعة لا محالة ، ذكر الله ذلك بقوله (لقد سبقت كلمتنا) ،

جاء فى موضع آخر (كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار » (المؤمن) تدل الآية على أن دخول الكفار فى النار أمر ثابت لا يتغير و لا يتبدل ، فلذلك قيل (حقت كلمة ربك) ،

و جاء فى موضع آخر (و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها التى باركنا فيها و تمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل ، (الأعراف) ، تشير الآية إلى أن بنى إسرائيل لما صبروا على ما تلقوه من عذاب أهل مصر انتصروا عليهم و ورثوا الأرض بعد أن كانوا يستضعفون فى مشارق الأرض و مغاربها ، و ذكر الله ذلك بقوله « تمت كلمة ربك الحسنى »

لقد أشار الله تعالى إلى أنه قد كتب على الفاسقين أن لا يؤمنوا لأنهم تمردوا و بغوا و عاثوا فى أرض الله بالفساد فجزاهم الله فى هذه الدنيا بأن قضى لهم أن لا يقبلوا الايمان أبداً فقال (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون (يونس) ،

و بعد أن بحثنا فى الأمر بالتفصيل اتضح لنا أن القرآن لم يطلق « كلمة الله » على سيدنا عيسى عليه السلام إلا ليبين أن ولادته من غير أن يكون له والد أمر قد قضى الله به و كتبه له من قبل و جعله أمراً مقضياً فجاء فى القرآن (قالت أنى يكون لى غلام و لم يمسسنى بشر و لم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين و لنجعله آية للناس و رحمة منا و كان أمراً مقضياً » (مريم)

فظهر أن سيدنا عيسى عليه السلام وصف بكلمة الله من حيث أن ولادته بطريق خاص كانت أمراً مقدراً مقطوعاً به لا لسبب آخر ،

كلمة الله والانجيل :

يوجد فى تراجم الانجيل بالعربية آيات تتضمن من الكلمة

المذكورة على نفس المدلول الذى نجده فى القرآن يعنى العقول والأمر والذى قدر و قضى به و إليك الأمثلة الآتية :

(١) من المزمور الثالث والعشرون الآية السادسة (بكلمة العرب صنعت السموات)

(٢) من أخبار الأيام الاول الباب ٧١ والآية ٣ (جلت كلمة الله على تاثان النبى)

(٣) من كتاب هوسيع الباب الأول (كلمة الرب التى صارت إلى هوسيع)

(٤) من لوقا الباب الثانى الآية ٣١ (حلت كلمة الرب على يوحنا بن زكريا)

كلمة الله و كلمة التكوين :

و يجب أيضاً أن نقرأ للمفسرين ما يكتبونه من أن عيسى عليه السلام قد ولد بقول الله تعالى « كن » ، فكان مثله فى ذلك مثل هذا العالم إذ نال وجوده بكلمة « كن » ، فقد جاء فى القرآن (إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) و من هنا أصبح سيدنا عيسى عليه السلام كلمة الله ،

علمنا أن كلمة الله هى الأمر المقدور و أن كلمة التكوين هى أداة التصرف و تعبيره و قد وصف العلامة الشاه ولى الله الدهلوى كلمة التكوين فى العالم بالتصرف الارادى (١)

(١) الفوز الكبير مبحث الشرك

و خلاصة البحث أن القرآن لم يطلق « كلمة الله » على سيدنا عيسى عليه السلام ليجعله الكلام الالهى الذى يلازم الذات الالهية و لا ليجعله منبعثاً من الذات الالهية و لا ليجعله الذات الالهية بعينها كما يقول المسيحيون بل إنما أطلق القرآن هذه الكلمة عليه ليدل على أنه ولد من بطن أمه مريم عليها السلام بطريق إستثنائى خاص وكانت ولادته هذه أمراً مقدوراً من الله حصلت لما أمر الله بظهورها ،

و إذن لا يبقى من هذه المسئلة إلا أن ننظر لماذا خص الله ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بقوله إنها أمر مقدور أو مقضى به أو أنها كانت بأمر من لدنه و لماذا نسب روح حياته إلى نفسه أننا إذا فكرنا فى هذا الأمر لوجدنا أن ذلك يرجع إلى أقوال اليهود و قذفهم فى عرض سيدنا مريم العذراء و إلى توجيههم التهم الفاسدة إلى سيدنا عيسى عليه السلام بأنها (والعياذ بالله) ارتكبت الفاحشة و بأنه (والعياذ بالله) ولد من بطنها تبعا لذلك فهذه التهمة هى التى نفاها الله سبحانه و تعالى و بين طهارتها و براءتهما منها و وصف طريقة ولادته أنها كانت أمراً مقدوراً من لدنه و روحاً منحه إياه خاصة من لدنه فقال عن مريم عليها السلام (و مريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدقت بكلمات ربها و كتبه و كانت من القانتين) (التحريم) ،

ندوة البعث

محمد عبدالصمد ، نيجريا

و بعد فقد يسرنى أن أقدم اشتراكى لمجلتكم « البعث الاسلامى » و لم يدفعنى على ذلك إلا كون هذه المجلة تنشر الدين الاسلامى والثقافة العربية العزيزة و كفى لها فخراً أنها تحت اشراف فضيلة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى الكاتب الاسلامى الكبير و حامل رأية الاسلام الحنيف ، و قد سعدنا بمطالعة كتابه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » فأعجبنا هذا الكتاب غاية الاعجاب منا للسيد المؤلف الشكر الجزيل .....

أما كاتب هذه الحروف فهو أفريقى الأصل فى العقد الثانى من عمره مثقف بالثقافة الاسلامية و طالب بالمدرسة الاسلامية فى نيجريا الشمالية و له نشر رغبة الدين الاسلامى فى جميع أنحاء العالم و أقطاره .....

« البعث » أخى إنها الرابطة الاسلامية و أخوتها التى جمعت بيننا فعلينا أن نقوى هذه الرابطة و نرعاها و نغذيها بكل إمكانياتنا ، و نحن نستطيع أن نجنى منه الكثير هذا و قد أرسلنا إليكم الجواب على خطابكم الكريم ،

قاسم يوسف الشيخ ، البحرين

تسلمنا هذا اليوم من البريد نسخة من العدد الأول للمجلد الرابع من مجلة « البعث » و قد كان وصول هذا العدد إلى كهدية من أنفس هدايا العيد السعيد الذى يستقبله المسلمون بعد يوم أو يومين و إنى لعاجز أن أعرب لكم عن مدى امتنانى و شكرى لكم و لجميع القائمين على إصدار هذه المجلة الحبيبة و ما يبذلون من جهد فى سبيل نشر الفكرة الاسلامية بعد أن تنكر لها كثير من أصحابها الأصليين « العرب »

و ختاماً أرجو إبلاغ تحياتنا و تهانينا بالعيد السعيد إلى أخينا الأكبر الأستاذ أبوالحسن و إخواننا فى ندوة العلماء ، والله تعالى يوفقكم لخدمة هذا الدين الحنيف إنه سميع مجيب ،

« البعث » أخى قد أرسلنا إليكم الجواب ، و نشكر لكم على هذه العاطفة الطيبة والروح الأخوية المتحمسة التى لمستها فى خطابكم الرفيق ، تلك الروح الأخوية التى أنشأها الاسلام فى أتباعه فجعل منهم كالبنيان المرصوص فالحمد لله ...

مروان يوسف دولة ، الكويت

.... تلقيت خطابكم الكريم الذى يشرح لنا أوضاع مجلتكم المحبوبة و لكن يا أخى أنسيت قول الرسول الكريم حين قال « القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار »

أخى إن الاباحية قد أصبحت يتندى لها جبين كل مسلم غيور على دينه و معتقداته و إن الحكومات القائمة فى العالم الاسلامى

بأجمعها تغذى هذا الاتجاه حتى ليندر أن ترى فى واجهات المكتبات اسم كتاب إسلامى و إن وجد فان ثمنه يفوق ثمن الكتب الرخيصة وذلك أيضاً لابعاد الناس عن الاسلام و ثقافته ... الخ

« البعث » الحق يا أخى أن هذه الأوضاع أوضاع سيئة جداً بالنسبة للدعوة الاسلامية و لكن الدعوة الاسلامية لم تخضع للاوضاع أبداً بل إنها غيرت الأوضاع بنفسها و إن شاء الله ستسير و ستنتصر رغم هذه العواصف الهوجاء والتيارات الجارفة من الالحاد والاباحة والفجور و قلى اعملوا .... الخ

أحمد حسن كراتشى

... أقدم إليكم اشتراكى للسنة القادمة و كيف لا و عهدى بهذه المجلة أنها تبعث فينا الروح الاسلامية و تقيم الروابط والصلات بين الاخوان فى العالم الاسلامى كله كما أعجبتنى هذه المقالات الممتعة والأبحاث الرائعة فى شتى الموضوعات الاسلامية التى تزود بها القراء كل شهر و سأبذل قصارى جهدى فى نشر هذه المجلة بين الناس فى هذه البلاد ،

« البعث » نقدم إلى حضرتكم الشكر الوافر على ذلك المجهود الذى تقومون به فى هذا السبيل ، هذا و إن هذه الكلمات العامرة بالايمان قد ملأتنا إيماناً و ثقة و ثباتاً ،

أخبار علمية و ثقافية

السامرائى فى لكهنؤ

زار الهند فى أوائلو يونيو صديقنا صالح مهدى السامرائى الذى يعرفه قراء « البعث » و هو نزيل باكستان منذ سنة فى مهمة تعليمية إنه وصل إلى لكهنؤ فى ٧ يونيو و قوبل بحفاوة بالغة و حرارة من إخوانه هنا ، و مكث عشرة أيام قضاها كلها فى أحاديث و اجتماعات و خطب و اتصالات بالعاملين للاسلام فى هذا البلد و كان لهذه الاقامة على قصرها أثر كبير و وقع جميل فى أوساط الدعوة والشباب المسلم المثقف هنا ، ثم سافر إلى دهلى و منها يتجه إلى المدن الهندية الأخرى ثم يعود إلى باكستان و منها إلى أفغانستان ، و جولاته هذه هى من أجل الدعوة و من أجل المشروع الذى أعده حول وضع « كتاب العالم الاسلامى » و استيعاب نشاط الدعوة و أوضاع المسلمين فى كافة أنحاء العالم ، والبعث يتمنى له النجاح والتوفيق فى مهمته و يدعو له بالنصر والسلامة فى الحل والترحال ،

دار العروبة فى كيراله الشيوعية

من الأنباء السارة الواردة من كيراله — و هى ولاية شيوعية كما يعلم الجميع — أن بعض الشباب المسلم هناك أنشؤا دار العروبة

فى ٥ أيلول ١٩٥٨ م مستهدفين نشر اللغة العربية و خدمتها بنطاق واسع بين المسلمين عامة والشباب المثقف خاصة و فى نيتهم لتحقيق هذا الهدف أن يؤسسوا كلية عربية لتدريس اللغة العربية فى هذه البلاد كلغة حية على أحدث الطرق العصرية الرائجة فى البلاد العربية و إنهم طلبوا منا أن ننشر عنوانهم حتى يطلع كافة الاخوان على هذه الخطوة و يسهل التعارف والاتصال بينهم بهذا الطريق ،

دار العروبة شارع محمد على و نم بڑى الهند

كتاب جديد عن الهند

ظهر منذ أيام كتاب « رجال الهند والسند » للقاضى أطهر المباركپورى ، مدير مجلة « البلاغ » الصادرة من بمبئى و هو كتاب يستحق التقدير و هو يدل على سعة اطلاع المؤلف و جهده المضنى الشاق الذى بذله فى تأليف و إخراج هذا الكتاب والكتاب نتيجة مطالعة واسعة فى تاريخ رجال الهند والسند الذين هم ذوو شخصيات بارزة و كانوا مذكورين فى التاريخ بصنائع مختلفة كثيرة ،

ولكن الذى ينقص الكتاب بعد كل ما ذكرنا هو أن المؤلف قصر اقتباسه لعظماء السند والهند على الكتب العربية تقريباً ، و هذه الكتب مهما تبلغ من الثقة والاعتماد لا تستطيع أن تقدم الشخصيات الهندية فى صورها الكاملة و لذلك نجد فى الكتاب عدداً من الشخصيات ليست أحوالهم مرتبة مهذبة بل مقطعة مبثوثة ولم تتنور لنا جوانبها المختلفة فكان من الأحسن جداً لو وسع المؤلف دائرة اختياره و اقتباسه إلى اللغة الفارسية والأردية و هذب

التراجم و دونها تدويناً أيضاً مثل ما نقل مع اللغة العربية سواء بسواء ، و لعل من نية المؤلف أن يقدم بعد هذا الكتاب كتباً أخرى حول الشخصيات العظيمة الأخرى التى يزخر بها تاريخ الهند فى القرون التى تعاقبت بعد القرن السابع لأن كتابه هذا ينتهى على هذا القرن ،

و قد ظهرت فى هذا الموضوع قبل هذا الكتاب موسوعة كبيرة و مكتبة مستقلة و هو كتاب « نزهة الخواطر » للعلامة السيد عبدالحى الحسنى ، ظهرت منه سبعة أجزاء ، تنشرها دائرة المعارف العثمانية فى حيدرآباد ، و قد نوهنا ببعض أجزائه فى مجلة « البعث »

و أخيراً نعترف بجهد المؤلف المشكور و إختياره لموضوع هام قيم يستحق عليه من طبقة الدارسين للتاريخ الهندى الاسلامى كل شكر ،

تطلب مجلة « المسلمون » فى الهند من العنوان الآتى
م - ر - الندوى دارالعلوم لندوة العلما لكهنؤ
و اشتراكها السنوى ١٦ روبية و ٢٠ يوسة جديدة
مع أجرة البريد .

إعلانات إدارية

(١) أعلنا فى العدد الممتاز الذى صدر فى يناير الماضى أن المجلة تصدر من العام الرابع على ٥٢ صفحة و قد صدرت أربعة أعداد حسب البرنامج الجديد ، و لكن الظروف التى واجهتها المجلة فى هذا الصدد لم تسمح لنا أن نستمر فى ذلك البرنامج فى الظرف الراهن ،

و نظراً إلى ذلك فقد قررنا أن تصدر المجلة على ٣٢ صفحة كما كانت تصدر من قبل و يكون ثمن الاشتراك خمس روبيات كما كان من قبل فعلى حضرات المشتركين الذين وصلتنا منهم ست روبيات أن يختاروا بين أمرين إما أن يسترجعوا منا روبية واحدة أو يتركوها عندنا أمانة نسددها فى الاشتراك القادم ،

(٢) و رجاؤنا من إخواننا العرب أن لا ينسوا أن هذه المجلة مجلتهم فيجب أن تكون جهودهم مستمرة فى توسيع نطاق قرائها و مشتركيها ليكون ذلك عوناً فى مواصلة جهودنا و إنقاذ مجلتنا من الأزمة المالية ،

(٣) لا تزال الحاجة ماسة إلى عددى يناير و فبراير لعام ١٩٥٨ م ونحن مستعدون لشرائهما إذا كانا أو أحدهما موجوداً أو فائضاً لدى أخ من إخواننا القراء .